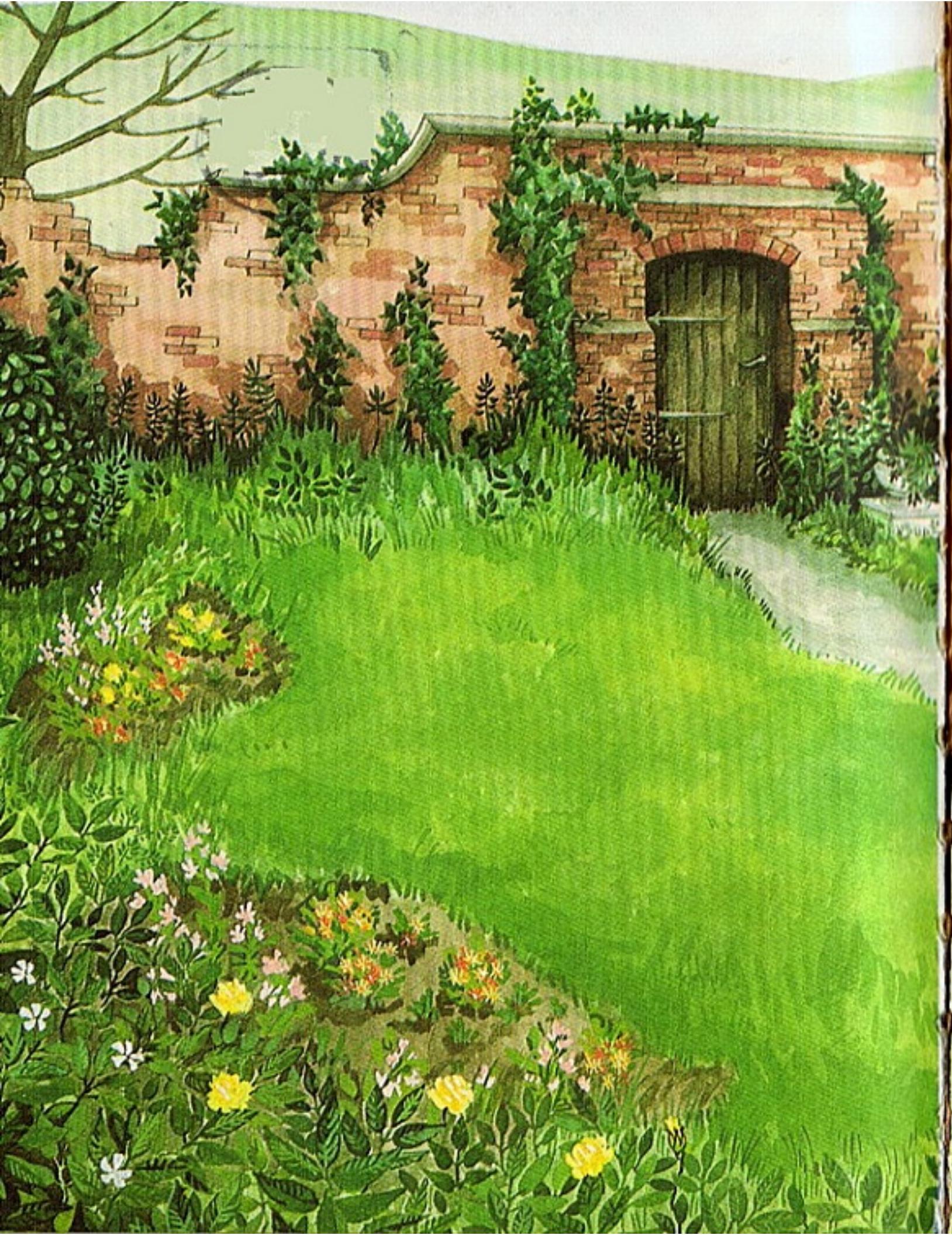


القصص من المليّة

# الحديقة السرية

Arabcomics.net







مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

رابط بديل





القَصَصُ الْمُسْكِنَةُ

مَكْتَبَةُ لِسانِ الْعَرَبِ  
www.lisanerab.com  
lisanerab.com

# الْحَدِيقَةُ السَّرِيرِيَّةُ



أَعْدَّ النَّصَّ الْعَرَبِيُّ : الدَّكْتُورُ أَلْبِيرُ مُطْلَقُ  
عَرْتُ قِصَّةً : فَرَانِسِسُ بُوزْنِتُ  
رُسُومٌ : جُوْرِجُ شَفِيلِبُوْشَامُ

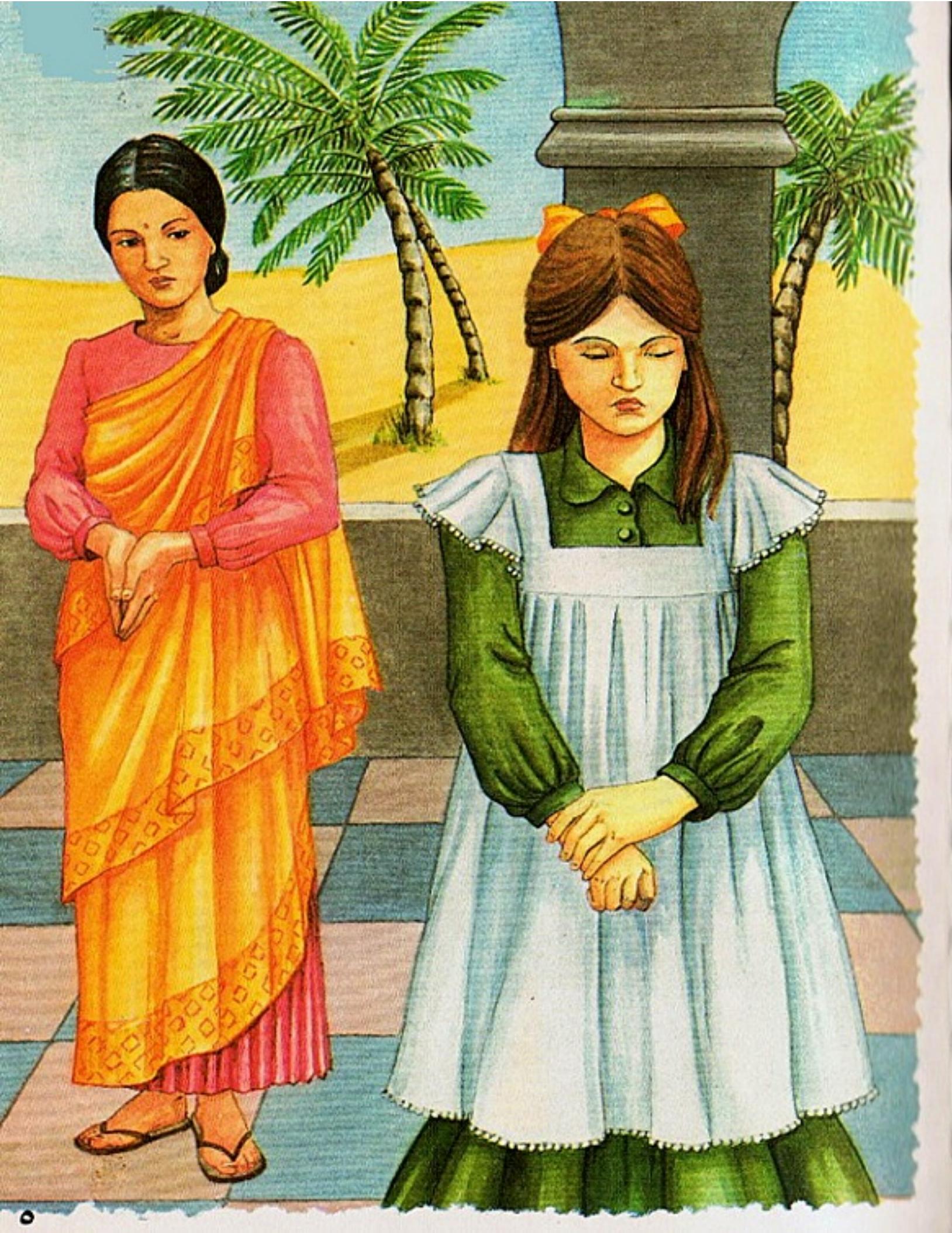
مَكْتَبَةُ لِبَنَانٍ

وُلِدَتْ في مانشستر في إنكلترا. وهاجرت في شبابها إلى أميركا. واشتهرت ككاتبةٍ لعدةٍ من القصص التي لاقت نجاحاً شعبياً كبيراً. وقصة «الحديقة السرية» واحدةٌ من أشهر أعمالها.

وتمتاز قصّة «الحديقة السرية» بشخصياتها المُرهفة، والتي تتالف مع الطبيعة، وتتطور مع أحداث القصة تطوراً مُتنامياً مُثيراً. وتكشف القصة عن العلاقات الإنسانية النبيلة بكثيرٍ من الحب والشفافية. وهي بالإضافة إلى ذلك قصّة مغامراتٍ يزيدُها جمالاً الرسوم الملوّنة التي تُزieren صفحات الكتاب.

### سلسلة «القصص العالمية»

- ٥ - قصّة مدربتين
- ٦ - العالم المفقود
- ٧ - الفرسان الثلاثة
- ١ - جزيرة الكثر
- ٢ - أسرة روينسن السويسرية
- ٣ - الحديقة السرية
- ٤ - رحلة إلى باطن الأرض



## الْحَدِيقَةُ السَّرِيَّةُ

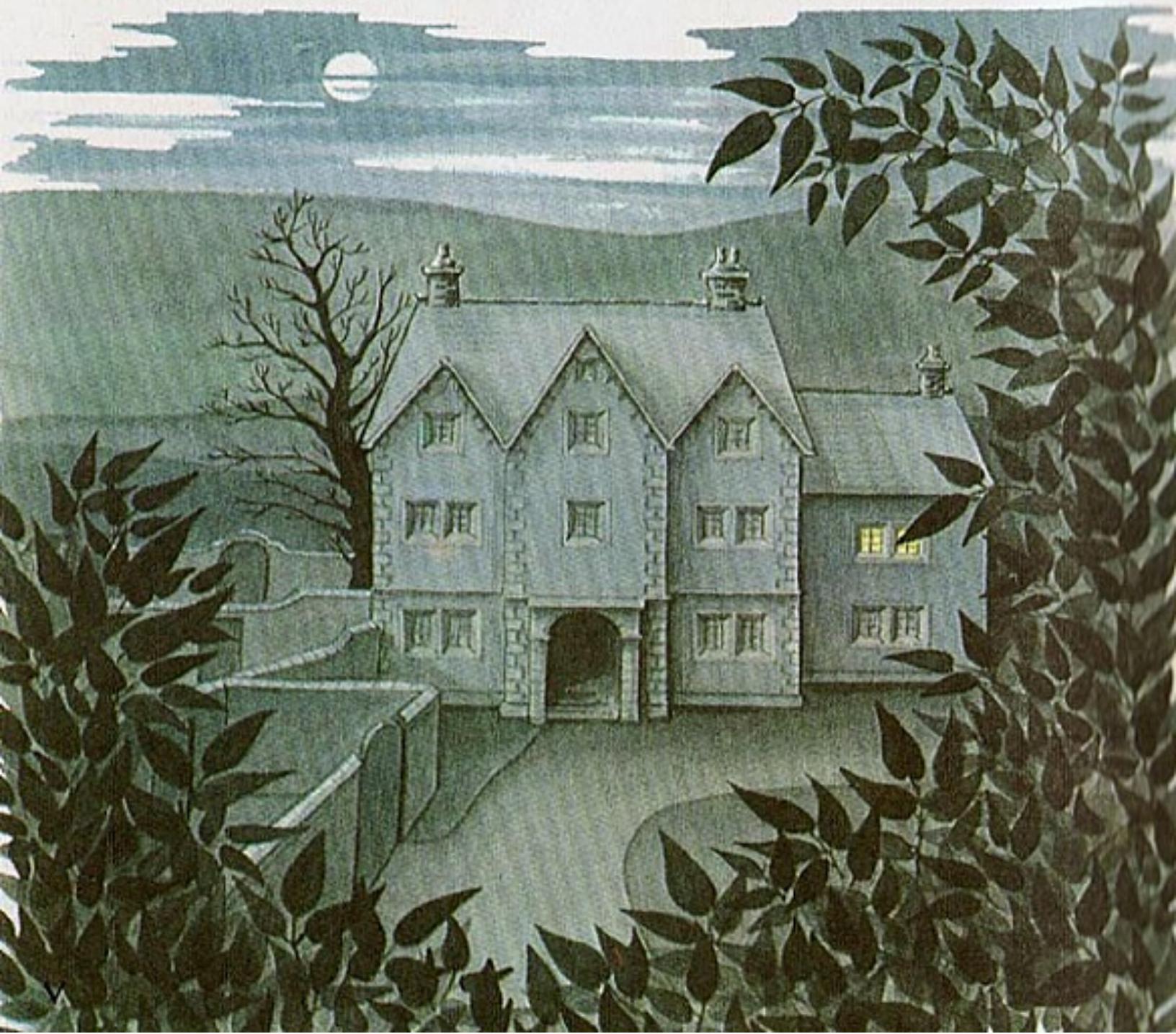
كَانَتْ ماري لِنُكْس فَتَاهَ مُذَلَّةً ، وَقَحَّةً وَعَصَبَيَّةً الْمِزاجِ . وَكَانَتْ ، فِي أَغْلُبِ الْأَحْيَانِ ، عَلَيْلَةً ، نَحِيلَةً ، تَعِيسَةً وَعَابِسَةً . فَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّهَا أَحَدٌ .

عَلَى أَنَّ ماري لَمْ تَكُنْ مَسْؤُولَةً ، فِي الْوَاقِعِ ، عَنْ أَيِّ مِنْ أَخْطَائِهَا . فَقَدْ وُلِدَتْ فِي الْهِنْدِ حَيْثُ كَانَ أَبُوهَا يَعْمَلُ . وَكَانَ أَبُوهَا دَائِمًا الْأَنْشِغَالِ فِي عَمَلِهِ ، فَلَمْ يَرْعِ ابْنَتَهُ الرِّعَايَةَ الْكَافِيَّةَ . وَكَانَتْ أُمُّهَا رَائِعَةً الْجَمَالِ لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَّا لِحَفَلَاتِهَا وَمَسَرَّاتِهَا ، وَتَرَكَتِ الْفَتَاهَ فِي رِعَايَةِ إِحْدَى الْمُرَبِّيَّاتِ . وَقَدْ تَرَكَتِ الْمُرَبِّيَّةُ لِلْفَتَاهِ حُرْيَّةَ التَّصَرُّفِ ، تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحْصُلُ عَلَى مَا تَشَاءُ ، لِتَكُفَّ عَنِ الْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ وَإِزْعَاجِ أُمِّهَا . فَلَا غَرَابةً ، إِذَا ، أَنَّ نَشَأَتْ ماري نَشَاءً مُذَلَّةً كَرِيهَةً .

أَحْسَتْ ماري ، ذَاتَ صَبَاحٍ ، وَكَانَتْ فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمُرِهَا ، أَنَّ فِي الْأَمْرِ سُوءًا . سَمِعَتْ وَهِيَ فِي غُرْفَتِهَا أَصْوَاتًا كَثِيرَةً تُنَادِي وَتَصْرُخُ ، وَوَقَعَ خُطُوطٌ سَرِيعَةٌ مُضْطَرَبَةٌ . اِنْتَظَرَتْ طَويَّا ، لِكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَأْتِ إِلَيْهَا . أَخِيرًا أَحْسَتْ بِالنُّعَاسِ وَنَامَتْ .

الجَمَالِ ، فَأَحَبَّهَا حُبُّ عِبَادَةٍ . لِكِنَّ زَوْجَتَهُ مَاتَتْ شَابَّةً فَازْدَادَتْ تَصَرُّفَهُ غَرَابَةً وَعَصَبَيَّةً . وَهُوَ ، فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ ، مُسَافِرٌ . لِذَلِكَ ، عَلَيْكِ أَنْ تُدَبِّرِي أُمُورَكِ بِنَفْسِكِ . »

كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ حِينَ وَصَلَّ القِطَارُ الْمَحَاطَةَ . وَكَانَ فِي انتِظَارِهَا هُنَاكَ عَرَبَةٌ يَجْرُّهَا حِصَانَانِ ، نَقَلَتْهُمَا إِلَى الْمَنْزِلِ . لِكِنَّ ، فِي ذَلِكَ الْجَوَّ الْحَالِكِ الْعَاصِفِ بِالْمَطَرِ ، لَمْ تَرَ مَارِيَ شَيْئًا مِمَّا حَوْلَهَا . فَسَأَلَتْ : « أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْبَرَارِي يُحِيطُ بِالْمَنْزِلِ ؟ »



كانَ الْبَيْتُ ، حِينَ اسْتَيْقَنَتْ ماري ، هادِئًا ، خالِيًّا مِنْ أَيِّ صَوْتٍ .  
أَحْسَتْ بِالغَضَبِ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَأْتِ إِلَيْهَا . لِكِنْ ، فَجْأَةً ، فُتْحَ الْبَابُ  
وَدَخَلَ رَجُلًا .

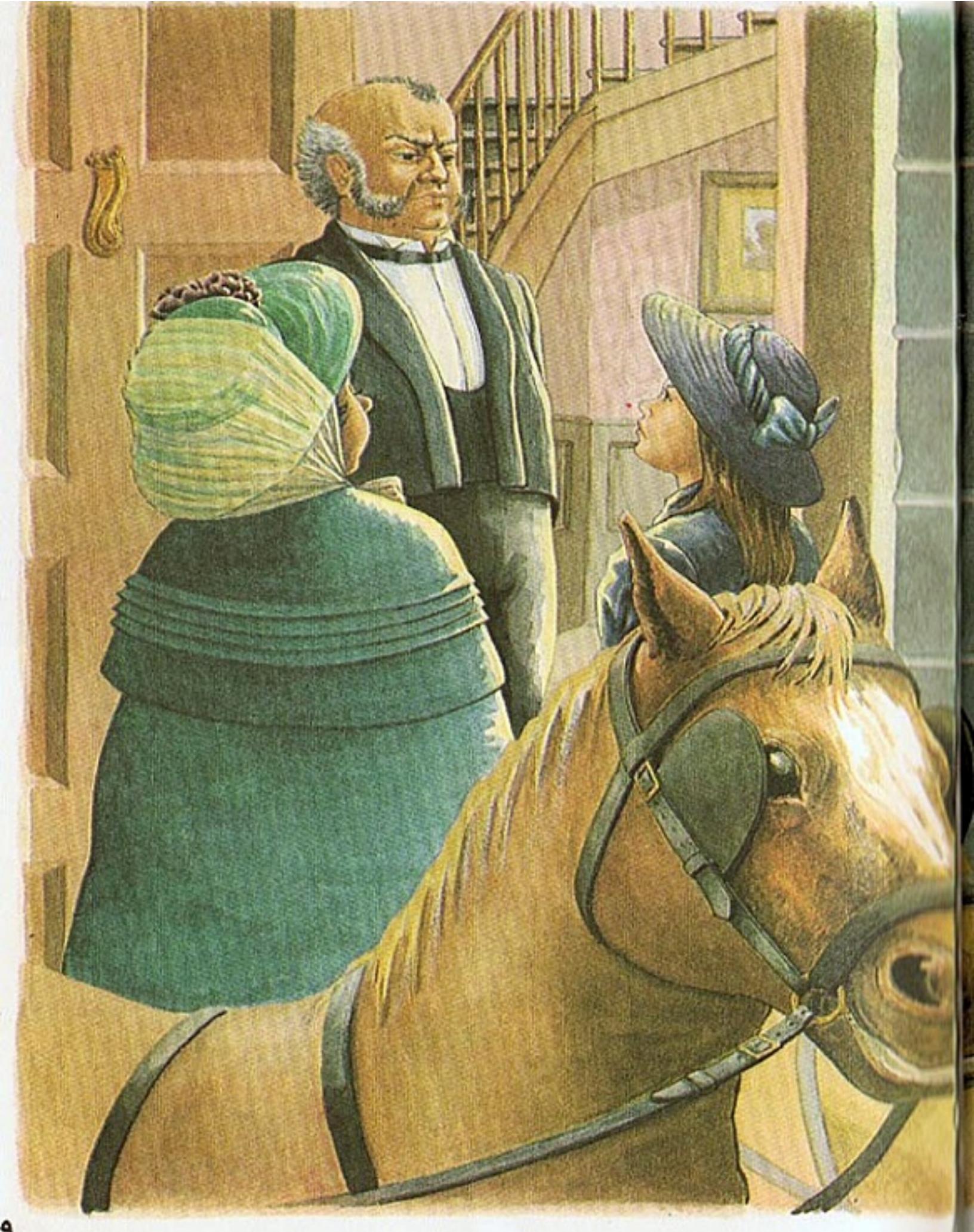
ضَرَبَتْ ماري الْأَرْضَ بِقَدَمِهَا ، وَصَرَخَتْ : « هَلْ نَسِيَ أَهْلِي أَنِّي أَعِيشُ  
هُنَا ؟ لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ إِلَيَّ أَحَدٌ ؟ »

قَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِحُزْنٍ : « مِسْكِينَةُ أَنْتِ يَا صَغِيرَتِي ! لَنْ يَسْأَلَ عَنْكِ  
أَحَدٌ بَعْدَ الْيَوْمِ . »

عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ عَرَفَتْ ماري بِأَنَّ أَبَوَيْهَا ماتَا ، فَقَدْ فَتَكَ بِهِمَا مَرَضُ  
كَانَ يَجْتَاهُ الْبِلَادَ . وَمَاتَ مَعَهُمَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَعْوَانِ وَهَرَبَ الْبَاقُونَ خَوْفًا  
مِنَ الْمَرَضِ . فَإِذَا بِمَارِي وَحِيدَةً فِي بِلَادِ الْهِنْدِ ، لَيْسَ لَهَا مَنْ يَعْتَنِي بِهَا .  
فَأَرْسَلَتْ إِلَيْيَّا إِنْكِلُتْرَا لِتَعِيشَ مَعَ عَمَّهَا السَّيِّدِ كِرَاشِنْ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ رِيفِ  
مُقَاطَعَةِ يُورْكْشَايْرِ .

فِي لَندَنَ ، كَانَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُكُ ، مُدَبَّرَةُ مَنْزِلِ الْعَمِّ ، فِي اسْتِقبالِ  
الْفَتَاهِ . كَرِهَتْهَا ماري مُنْذُ أَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهَا عَيْنَاها ; عَلَى أَنَّهَا كَرِهَتْ بَعْدَ  
ذَلِكَ كُلَّ الَّذِينَ قَابَلُوهُمْ . أَمَّا السَّيِّدَةُ مِدْلُكُ فَقَدْ رَأَتْ فِي ماري - عَنْ  
حَقِّ - فَتَاهَةً وَقِحَّةً تَافِهَةً . لِكِنَّهَا ، مَعَ ذَلِكَ ، لَا طَفْتَهَا طَوَالَ الْطَّرِيقِ ،  
وَحَدَّثَتْهَا عَنْ مَنْزِلِ الْعَمِّ . وَبَدَا مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّهُ مَنْزِلٌ كَثِيرٌ تُحِيطُ بِهِ  
الْبَارِي مِنْ كُلِّ صَوْبِ .

وَمِمَّا قَالَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُكُ : « لَنْ يَكُونَ عِنْدَكِ مَا تَعْمَلِيهِ ، يَا ماري .  
وَلَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْكِ عَمُّكِ . فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَحْدَبُ مُنْطَوِّ عَلَى نَفْسِهِ . وَكَانَ قَبْلَ  
زَوَاجِهِ شَابًا غَرِيبَ التَّصَرُّفَاتِ عَصِيًّا يَكادُ لَا يَتَسَمِّ . ثُمَّ تَزَوَّجَ فَتَاهَةً رَائِعَةً

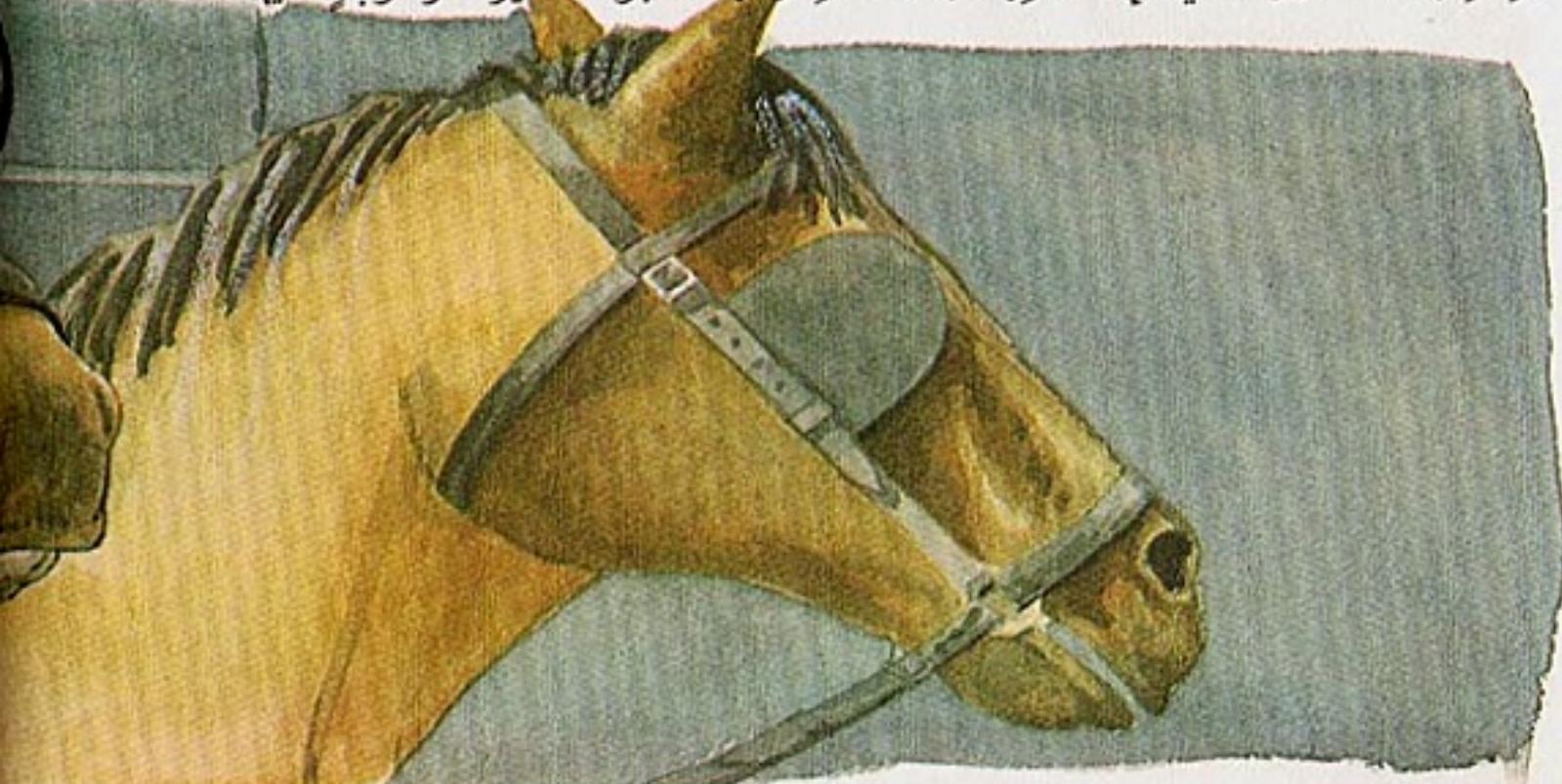


أَجَابَتِ السَّيْدَةُ مِدْلُكُ : «إِنَّهَا مِساحَاتٌ شاسِعَةٌ مِنَ الْأَرْضِي لَا يَنْبُتُ فِيهَا غَيْرُ الْوَزَالِ وَالخَلْنجُ ، وَلَا يَعِيشُ عَلَيْهَا غَيْرُ الْجِيادِ الْبَرِّيَّةِ وَقُطْعَانِ الْمَاشِيَّةِ .»

وَصَلَتِ الْعَرَبَةُ أَخِيرًا إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَانْفَتَحَ بَابُ ضَخْمٍ مِنْ خَشْبِ الْسَّنْدِيَّانِ ، وَقَفَ عِنْدَهُ كَبِيرُ الْخَدَمِ وَقَالَ : «عَلَيْكِ ، يَا سَيْدَةُ مِدْلُكُ ، أَنْ تَأْخُذُنِي الْفَتَاهَ إِلَى غُرْفَتِهَا ، فَالسَّيْدُ مُسَافِرٌ غَدًا إِلَى لَندَنَ وَلَا يَرْغَبُ فِي رُؤْيَاَتِهَا .»

مَشَتْ ماري وَرَاءَ السَّيْدَةِ مِدْلُكَ ، فَصَعِدَتْ دَرَجًا ، وَعَبَرَتْ مَمَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، ثُمَّ دَخَلَتْ غُرْفَةً ذَاتَ مِدْفَأَةٍ مُشْتَعِلَةٍ وَطَاوِلَةً عَلَيْهَا طَعَامٌ لِلْعَشاءِ .

قَالَتِ السَّيْدَةُ مِدْلُكُ : «فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ تَعِيشِينَ . فَلَا تَتَسَكَّعِي فِي أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ .» هَكَذَا اسْتُقْبِلَتْ ماري فِي مَنْزِلِ عَمَّهَا . وَقَدْ أَغْضَبَهَا هَذَا الْإِسْتِقْبَالُ ، وَزَادَ فِي إِحْسَاسِهَا بِالْوَحْدَةِ وَأَنَّهَا مَنْبُوذَةٌ غَيْرُ مَرْغوبٍ فِيهَا .





قالت مرتا : «لِيَتَكِ تَرَيْنَ إِخْوَتِي وَأَخْوَاتِي فِي كُونِجِنا الصَّغِيرِ الْقَائِمِ وَسَطِ الْبَرِّيَّةِ . نَحْنُ فِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ فَرْدًا ، وَلَا يَكْسِبُ أَبِي إِلَّا أَجْرًا أَسْبُوعِيًّا زَهِيدًا . لِذَا فَإِنَّ أُمِّي تَعْمَلُ لِتُساعِدَ فِي تَوْفِيرِ الطَّعَامِ الْكَافِ لِأَفْرَادِ الْأُسْرَةِ . الْهَوَاءُ النَّقِيُّ فِي الْبَرِّيَّةِ يَجْعَلُنَا كُلُّنَا أَصِحَّاءَ أَقْوِيَاءَ . لِيَتَكِ تَتَعَرَّفِينَ إِلَى أَخِي دِيكِنْ . إِنَّهُ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَيُخْسِنُ التَّفَاهُمَ مَعَ الْحَيَّانَاتِ ؛ وَقَدْ رَوَضَ مُهْرًا بَرِّيًّا . »

أنهت مرتا عملها في الغرفة وخرجت ، فخرجت ماري وراءها لِتَلَعَّبَ .



استيقظت ماري في صباح اليوم التالي فوجئت في غرفتها خادمة تُشعل المِدفأة. وأخذت الخادمة، واسمها مرتا، تبتسم وتروي الأخبار طوال قيامها بعمليها.

لم تكن ماري معتادة على الخدام المرحين. ولم تكن، في أثناء حياتها في الهند، قد لفظت، في تعاملها مع الخدام، بلفظة شكر أو اعتذار. بل إنها كانت، إذا غضبت، تصفع أحياناً مرببيتها. لكن شيئاً جعلها تشعر الآن أن عليها ألا تعامل مرتا المعاملة نفسها. وفي بداية الأمر، لم تجد ماري في أخبار مرتا ما يسلّي. لكنها أخذت، شيئاً فشيئاً، تنصت إلى صوت الخادمة الودود.



«تِلْكَ الْحَدِيقَةُ لَا بَابَ لَهَا.»

فَأَجَابَهَا بِفَضَّالَةٍ : «أَيُّ حَدِيقَةٍ؟»

قَالَتْ : «تِلْكَ الَّتِي خَلْفَ هَذَا السَّوْرِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَوقَ أَشْجَارِهَا طائِرًا مِنْ طُيُورِ «أَبُو الْحِنْ» وَسَمِعْتُ غِنَاءَهُ.»

قالَتْ مَرْتَا ماري : «إِذْهَى وَالْعَيْ فِي الْحَدَائِقِ . صَحِحٌ أَنَّ الْحَدَائِقَ الْآنَ فَقِيرَةً بِالْأَزْهَارِ وَالنَّبَاتَاتِ وَلَكِنَّهَا فِي الصَّيفِ سَاحِرَةً !» تَوَقَّفَتْ لَحْظَةً ، ثُمَّ تَابَعَتْ بِصَوْتٍ شِبْهٍ هَامِسٍ قَائِلَةً : «السَّيِّدُ كِرَافَنْ أَقْفَلَ بَابَ إِحْدَى هَذِهِ الْحَدَائِقِ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، يَوْمَ مَاتَتْ زَوْجَهُ ، وَدَفَنَ الْمَفْتَاحَ فِي الْأَرْضِ . إِنَّهُ يَكْرَهُ تِلْكَ الْحَدِيقَةَ .»

كَانَتْ أَمْلَاكُ الْعَمَّ كِرَافَنْ وَاسِعَةً ، تَفْصِيلٌ بَيْنَهَا أَسْوَارٌ عَالِيَّةٌ فَتَقْسِيمُهَا إِلَى حَدَائِقَ عَدِيدَةٍ ، وَلِكُلِّ حَدِيقَةٍ بَابٌ يَصِلُّهَا بِالْحَدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ . وَكَانَتْ تَنْتَمِي فِي بَعْضِ تِلْكَ الْحَدَائِقِ أَزْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَتَقْوُمُ نَوَافِرُ مِيَاهٍ . وَفِي الْأُخْرَى كَانَتْ تُزْرَعُ الْخَضْرَاوَاتُ . أَمَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الشَّتَاءِ فَقَدْ كَانَتِ الْحَدَائِقُ كَثِيرَةً شِبْهَ عَارِيَّةٍ .

فَجَاهَ ، فُتَحَ بَابُ إِحْدَى الْحَدَائِقِ ، وَبَرَزَ مِنْهُ رَجُلٌ عَجُوزٌ بَدَا مِنْ تَصْرُفَاتِهِ أَنَّهُ يُشْبِهُ ماري فِي عَصَبَيَّتِهِ وَسُوءِ طَبَعِهِ .

سَالَتْهُ ماري : «أَتَسْمَحُ لِي بِدُخُولِ الْحَدِيقَةِ؟» أَجَابَ يَعْبُوسٌ : «لَا شَيْءٌ يَسْتَحِقُ الْمُشَاهَدَةَ . لَكِنْ إِذَا شِئْتِ ادْخُلِي .»

كَانَتْ ماري تَأْمُلُ أَنْ تَجِدَ بَابَ الْحَدِيقَةِ الْمُقْفَلَةِ . جَرَّبَتِ الْأَبْوَابَ كُلُّهَا فَانْفَتَحَتْ بِيُسْرٍ . وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَسْوَارِ مُغَطَّى بِالنَّبَاتَاتِ الْمُتَسَلَّقَةِ الْمُتَشَابِكَةِ ، وَبَدَا أَنْ لَا بَابَ لَهُ . إِلَّا أَنَّ ماري رَأَتْ خَلْفَ ذَلِكَ السُّورِ أَشْجَارًا عَالِيَّةً ، وَرَأَتْ طَيْرًا مِنْ طُيُورِ «أَبُو الْحِنْ» فَوْقَ غُصَنٍ مِنْ أَغْصَانِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ ، وَسَمِعَتْ تَغْرِيدَهُ . تَوَقَّفَتْ لَحْظَةً تَسْتَمِعُ إِلَى تَغْرِيدِ الطَّيْرِ السَّاحِرِ ، فَطَرَبَتْ وَارْتَسَمَتِ ابْتِسَامَةً عَلَى وَجْهِهَا الْبَائِسِ الْحَزِينِ . ثُمَّ عَادَتْ إِلَى العَجُوزِ . لَكِنَّهُ تَجَاهَلَهَا وَتَابَعَ عَمَلَهُ فِي الْأَرْضِ . أَخِيرًا قَالَتْ لَهُ :



رفع العجوز قامته ، وارتسمت على وجهه ابتسامة . فاحسست ماري أنه ليس رجلاً قاسياً كما بدا لها أول لقائهما به . ثم أصدر العجوز صفيرًا ناعيماً ، فطار «أبو الحن» عن الشجرة واستقر على قدم العجوز .

قال الرجل بصوتٍ هادئٍ : «ها هو ، إنه يلقي دائمًا ندائى . أليس مخلوقاً رائعاً؟ أنظري إليه ، إنه يعرف أننا نتحدث عنه .» راح «أبو الحن» ، بقدره الممتهن الفتى وصدره القرمزى ، ينطيط على الأرض ملتقطاً الحب . تابع البستانى العجوز ، واسمُه بن ، عمله في نقب الأرض ، وهو يقول : «إنه رفيق الوحيد . من غيره أشعر بالوحدة .»

أجبت ماري : «وأنا أشعر بالوحدة أيضاً . لم أعرف في حياتي صديقاً واحداً .»

توقف بن لحظة ، ثم قال : «أظن أنا ، أنت وأنا ، متشابهان . كلامنا غير وسيم . وكلامنا نكيد ، كما هو واضح في وجهينا .»

لم تكن ماري قد فكرت يوماً بوجهها المتجمهم النكيد وطبعها السيئ . أما الآن ، وقد فعلت ، فإنها تشعر بالقلق والحيرة . في تلك اللحظة طار «أبو الحن» إلى شجرة قريبة وراح يغرد بأعلى صوته .

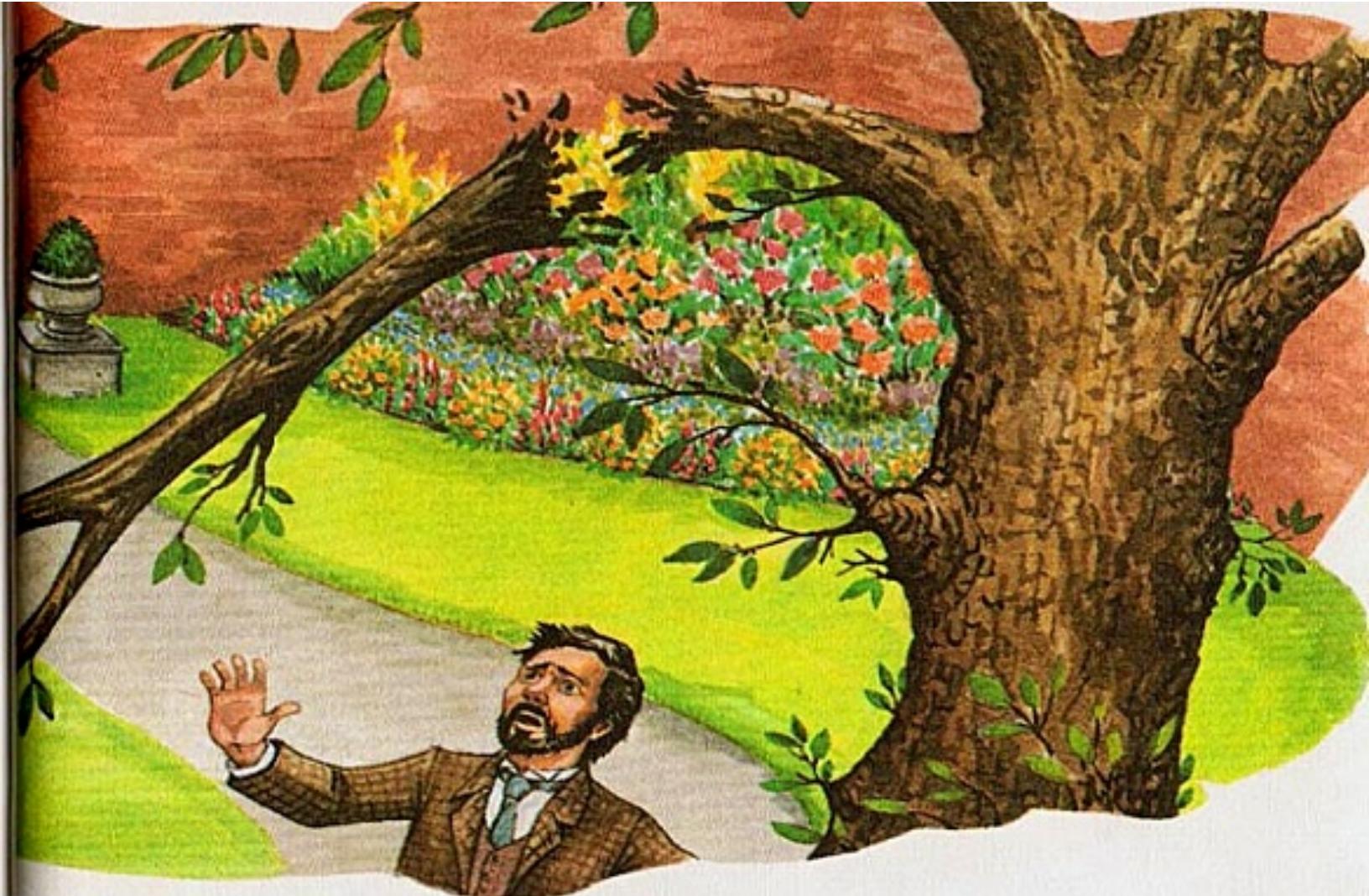
قال بن : «إنه معجب بك ، ويريد أن يكون صديفك .»

نظرت ماري إلى الطائر وقالت : «أتقبل أن تكون صديقي؟» قالت ذلك بصوتٍ وادع حنون ، لا يُشبة صوتها الحاد القاسي الذي تعودت أن تتكلّم



صارَتْ ماري ، بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، تُمْضِي الْحَانِبَ الْأَكْبَرَ مِنْ أَيَّامِهَا فِي الْهَوَاءِ الطَّلْقِ . كَانَتْ تَرْكُضُ طَلَباً لِلِّدْفِ ، فَصَبَغَ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ وَجَنَّتِيهَا بِلَوْنِ الْوَرْدِ . وَكَانَتْ كُلَّ مَسَاءٍ تَشْعُرُ بِالْجَوْعِ فَتَنَاوِلُ عَشَاءً مُتَنَوِّعاً دَسِّيًّا ، ثُمَّ تَجْلِسُ إِلَى جَانِبِ النَّارِ تَتَحَدَّثُ إِلَى مَرْتَا .

قَالَتْ ماري ذاتَ مَسَاءٍ : « لِمَ يَكْرَهُ السَّيِّدُ كِرَافِنَ الْحَدِيقَةَ الْمُقْفَلَةَ ؟ » أَجَابَتْ مَرْتَا : « كَانَتْ تِلْكَ حَدِيقَةَ السَّيِّدَ زَوْجَتِهِ ، وَكَانَتْ تُجِبُّهَا كَثِيرًا . وَبَيْنَمَا كَانَتْ ذاتَ يَوْمٍ جَالِسَةً فَوْقَ شَجَرَةٍ انْكَسَرَ بِهَا غُصْنٌ فَوَقَعَتْ وَمَاتَتْ . لِذَلِكَ يَكْرَهُ السَّيِّدُ كِرَافِنَ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ ، وَلَا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِإِنْ يَتَحَدَّثَ عَنْهَا . »



قالَ بنٌ : «عَجَبًا ! لَكِ صَوْتٌ عَذْبٌ كَأَصْوَاتِ الْأَطْفَالِ ، لَا صَوْتٌ  
حَادٌ قَاسٌ كَأَصْوَاتِ بَعْضِ الْعَجَائِزِ . ذَكَرْتِي بِالْفَتَى دِيكُنْ وَهُوَ يُخَاطِبُ  
حَيَّانَاتِ الْبَرِّيَّةِ .»

طارَ «أَبُو الْحِنْ» إِلَى السُّورِ . وَقَالَتْ مَارِي : «لَا بُدَّ أَنَّ لِتِلْكَ الْحَدِيقَةَ  
بَابًا .»

أَجَابَ بنٌ بِعَصَبَيَّةٍ : «لَا نَعْرِفُ لَهَا بَابًا إِلَآنَ . وَاحْذَرِي أَنْ تَتَلَصَّصِي عَلَى  
الْأَمَاكِنِ الْمَحْظُورَةِ عَلَيْكِ !» قَالَ ذَلِكَ وَادَّارَ ظَهْرَهُ وَمَشَى مُسْرِعًا دُونَ أَنْ  
يُوَدِّعَهَا بِكَلِمَةٍ .

«كان ذلك صوت خادمة المطبخ. فإنها تصرخ ألمًا من وجع في أسنانها.» وخرجت من غرفة ماري على عجل.

هطلت الأمطار في اليوم التالي بغازار، فقالت مرتا: «في مثل هذا اليوم، يزدحم أفراد أسرتي كلهم في الكوخ الصغير، لا يعرف الواحد منهم كيف يتتجنب الاصطدام بالآخرين. إلا أخي ديكن فإنه، منها يمكن الطقس قاسيًا، يخرج إلى البرية. رأى مرأة تتغلل (جرؤ ثعلب) يوشك أن يغرق، فانقذه وأحضره معه إلى البيت. وعندئذ أيضًا غراب اليف أسماه سوت.»

قررت ماري، حين أصبحت وحدها، أن تستكشف المنزل. فمشت في ممرات، وصعدت درجات ونزلت غيرها. وتناهى إليها، عبر السكون هذه المرأة، صوت ولد يبكي.

وما إن انحنت ومددت رأسها إلى باب تحاول الإنصات حتى افتح باب آخر برزت منه السيدة ميلك التي قالت بصوتها أمير: «ماذا تفعلين هنا؟ عودي إلى غرفتك حالا!»





لم تكن ماري قد أشفقت في حياتها على إنسان. أما الآن فإنها وعَتْ  
التعاسة العميقَةَ التي لا بد أنَّ السيد كرافن يُحسِّنُ بها. هبَّتْ ريح عاصفة  
في البريَّةِ، وأَنْتَ حَوْلَ المَنْزِلِ وزَمْجَرَتْ. أَنْصَتْ ماري إلى زَمْجَرَةِ الريح  
فتراءِي لها آنَّها تَحْمِلُ مَعَهَا صَوتَ ولَدٍ يَنْكِي.

حاوَلتْ أن تستفسِرَ مِنْ مَرْتا عَمَّا سَمِعَتْ مِنْ أَصْواتِهِ. لكنَّ مَرْتا  
انكَرَتْ أن تكون سَمِعَتْ بُكَاءَ ولَدٍ، وقالَتْ، وقد بَدَا عَلَيْها الإِضْطِرابُ:

أَحْسَتْ ماري بِالغَضَبِ. فَقَدْ كَانَتْ واثِقَةً أَنَّهَا سَمِعَتْ بُكَاءً، وَبَدَتْ مُصَمِّمَةً عَلَى أَنْ تَكْتَشِفَ سِرِّ ذَلِكَ البُكَاءِ.

مَرَّتْ أَيَّامُ الشَّتَاءِ الْعَاصِفَةِ. قَالَتْ مَرْتاً : «إِنْتَظِرِي حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ عَلَى نَبَاتِ الرَّوْزَالِ وَالخَلْنجَ الْذَّهَبِيَّةِ !»

قَالَتْ ماري : «أَتَمَنِّي لَوْ أَزُورُ كُوكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ وَأَتَعَرَّفُ إِلَى أُمَّكِ.»

قَالَتْ مَرْتاً : «سُتُّجِينَ أُمِّي . فَهِيَ لَطِيفَةُ، وَعَامِلَةُ لَا تَعْرِفُ الْكَلَلَ . أَتَشَوَّقُ دَائِمًا إِلَى زِيَارَتِهَا ، وَأَقْضِي أَحْلِي أَوْقَاتِي فِي الْبَيْتِ .»

قَالَتْ ماري : «أَتَمَنِّي أَنْ أَتَعَرَّفَ إِلَى أَخِيكِ دِيْكُنْ أَيْضًا .»

قَالَتْ مَرْتاً : «سُتُّجِينَهُ هُوَ أَيْضًا . الْجَمِيعُ يُحِبُّونَ دِيْكُنْ .»

فَتَنَاهَدَتْ ماري وَقَالَتْ بِحُزْنٍ : «أَمَا أَنَا فَلَا يُحِبُّنِي أَحَدٌ .»





ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ فَرَأَتِ الْبُسْتَانِيَّ الْعَجُوزَ بْنَ يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ .  
قَالَ لَهَا : «الرَّبِيعُ آتٌ ، بَدَأَتِ الْحَيَاةُ تَتَحَرَّكُ تَحْتَ الْأَرْضِ . عَمَّا قَرِيبٍ  
تَرَيْنَ نَبَاتَاتِ الزَّعْفَارَانِ وَغَيْرَهَا مِنَ النَّبَاتَاتِ الْبَرِّيَّةِ الْمُبْهِجَةِ .»

طَارَ «أَبُو الْحِنْ» وَحَطَّ عَلَى السُّورِ الْمُغَطَّى بِالنَّبَاتَاتِ الْمُتَسَلَّقَةِ . فَرَكَضَتْ  
مَارِي إِلَيْهِ . لِكِنَّهُ قَفَزَ إِلَى الْأَرْضِ . جَثَمَتْ مَارِي عَلَى الْأَرْضِ وَأَخْدَتْ  
تَقْتِرِبُ مِنْهُ ، فَرَاحَ يُغَرِّدُ وَكَانُهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَهَا شَيْئًا . اِقتَرَبَتْ مِنْهُ كَثِيرًا  
فَأَحْسَسَتْ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ مَلَكَتْ عَلَيْهَا أَنْفَاسَهَا . أَخَذَ «أَبُو الْحِنْ» يَنْقُرُ الْأَرْضَ  
بَحْثًا عَنْ دُودَةٍ . وَفَجَاءَ ، رَأَتْ مَارِي فِي التُّرَابِ مِفْتَاحًا صَدِينًا !

قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : «لَعَلَّهُ مِفْتَاحُ الْحَدِيقَةِ السَّرِّيَّةِ !» ثُمَّ دَسَّتِ الْمِفْتَاحَ فِي  
جَيْبِهَا وَرَكَضَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا .

تَحَدَّثَتْ مَرَّتَا بَعْدَ العَشَاءِ إِلَى مَارِي وَأَخْبَرَتْهَا عَنْ يَوْمِهَا الَّذِي قَضَتْهُ فِي  
كُوكَخِ أَهْلِهَا الصَّغِيرِ . قَالَتْ لَهَا : «أُمِّي تَرَى أَنَّ حَيَاةَكِ هُنَا مُوحِشَةٌ ، لِذَا  
فَقَدْ أَرْسَلَتْ لَكِ هَدِيَّةً تُسَلِّيكِ .» ثُمَّ أَتَتْ بِحَبْلَةِ نَطِّ ذاتِ مُسْكَنَتِنِ وَأَرْتَهَا  
كَيْفَ تَنْطُّ بِهَا .

كَانَتْ تِلْكَ مُفَاجَأَةٌ سَارَةً . لَمْ تَكُنْ مَارِي تَحْسِبُ أَنَّ فِي إِمْكَانِ أُمِّ مَرَّتَا  
أَنْ تُوفَّرْ ثَمَنَ حَبْلَةِ نَطِّ ، فَقَالَتْ : «أُمِّكِ سَيِّدَةٌ لَطِيفَةٌ جَدًا .» وَمِنْذُ ذَلِكَ  
الْوَقْتِ كَانَتْ مَارِي ، أَيْنَا ذَهَبَتْ ، تَحْمِلُ مَعَهَا حَبْلَتَهَا تَنْطُّ بِهَا . فَيَزِدَادُ  
جِسْمُهَا قُوَّةً ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .



إِنْسَمَتْ مَرْتَا وَقَالَتْ بِرَاءَةٌ : « رُبَّا لِأَنْكِ أَنْتِ لَا تُحِبِّينَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ . »

شَعَرَتْ ماري بالحَيْرَةِ ، وَقَالَتْ : « لَمْ أُفْكِرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَبَدًا . »





قد أخذ يشق التربة ويشرب دافعا الأعشاب ليأخذ له مكانا. أسرعت ماري تتزع الأعشاب الضارة وتزيل أوراق الشجر الميتة. فمر الوقت دون أن تشعر بذلك.

شعرت ماري، أثناء تناول العشاء، برغبة قوية لإشراك مرta بالسر الذي تخفيه، لكنها خشيت أن يؤدي ذلك إلى حرمانها من الذهب إلى حدقتها السرية. فاكتفت بـأن قالت لها: «ليته كان عندي حديقة صغيرة أزرعها!» أجبت مرta: «فكرة عظيمة! سأطلب من ديكن أن يجعل لك أدوات للزراعة وبذوراً.»



كان «أبو الحِنْ» ذات صباح واقفا على السور يتابع بعينيه ماري وهي ترکض وتلعب. فجأة، حدث ما يُشبه السحر، فقد هبت ريح قوية أزاحت جانباً من النباتات المُسلقة عن السور، فانكشف باب خشبي ضخم عتيق. تلمست ماري جيئها وأخرجت المفتاح الصدري بحاسة وقلق، وراحَت تعالج الباب بكل قوتها. حاولت كثيراً حتى كادت تيأس. أخيراً انفتح الباب، فأسرعت تدخل منه. وقفَت داخل الحديقة مبهورة، وأخذت تتلفت حولها وقلبها يخفق خفانا شديداً. كانت الأعشاب العالية المتشابكة تغطي الحديقة كلها. لكن، كان بعض النبات الزهرية الجميلة



كانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ قَدْ بَدَأَ يَنْمُو وَيُزَهُرُ. وَصَارَتْ ماريَ تَذَهَّبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى هُنَاكَ تُنْظَفُ الْأَرْضَ وَتَرْعِي النَّبَاتَاتِ. وَحَرَصَتْ عَلَى أَلَا يَعْرِفَ الْبُسْتَانِيُّ بْنٌ أَيْنَ تَذَهَّبُ. قَالَ لَهَا بْنٌ ذَاتَ يَوْمٍ : «الْهَوَاءُ الطَّلْقُ أَفَادَكِ ؛ إِذْ امْتَلَأَ جِسْمُكِ وَخَفَّ صُرَاخُكِ. لَقَدْ بَدَوْتِ ، أَوَّلَ وُصُولِكِ إِلَى هُنَا ، كَفَرْخُ غُرَابٍ عَارٍ مِنَ الرَّيْشِ.»

صَحِّحَتْ ماريَ. فَقَدْ أَصْبَحَتْ تُحِبُّ بْنَ ، حَتَّى فِي أَيَّامِ نَكَدِهِ وَتَشْكِيهِ.

رَأَتْ ماريَ ، فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ، وَلَدَّا يَجْلِسُ تَحْتَ شَجَرَةً. وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْوَلَدِ أَرْبَابٌ وَطَائِرٌ مِنْ طُيُورِ التَّدْرِجِ ، وَفَوْقَ رَأْسِهِ ، عَلَى الشَّجَرَةِ ، سِنْجَابٌ مِائِلٌ بِجَسَدِهِ إِلَيْهِ. وَكَانَتِ الْحَيَوانَاتُ كُلُّهَا تُنْصِتُ إِلَى الْوَلَدِ وَهُوَ يَعْزِفُ عَلَى مِزْمَارِ الْحَانَةِ حُلْوَةً. شَاهَدَ الْوَلَدُ ماريَ فَقامَ بِهُدُوءٍ ، وَكَانَهُ يُحَاوِلُ أَلَا يُفْزَعَ أَصْدِيقَاهُ ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الزَّرْقاوَانِ الْبَرِيَّتَانِ بِإِبْتِسَامَةٍ وَادِعَةٍ ، وَقَالَ : «أَنَا دِيْكُنُ. جِئْتُكِ بِأَدَوَاتِ الزَّرْعِ وَالْبُذُورِ. أَلَسْتِ أَنْتِ ماري؟»

أَدْخَلَتِ إِبْتِسَامَةُ دِيْكُنَ الْوَادِعَةَ الْأَطْمِنَانَ إِلَى قَلْبِ ماريِ وَأَنْسَتَهَا خَجَلَهَا ، وَاحْسَسَتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْحَيَوانَاتُ وَالطُّيُورُ تَثِقُ بِهِ فَهُنَّ تَثِقُونَ بِهِ أَيْضًا. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ وَجَدَتْ نَفْسَهَا تَقُولُ لَهُ : «هَلْ سَمِعْتَ بِالْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ؟»

أَجَابَهَا دِيْكُنُ : «سَمِعْتُ بِهَا ، لَكِنْ لَا أَعْرِفُ مَكَانَهَا.»





تلفتْ ماري حَوْلَهَا لِتَأْكُدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُرَاقبُ ، ثُمَّ قادَتْ دِيكُنْ عَبَرَ بَابِ الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ . بَدَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِ دِيكُنْ ، وَهُوَ يَنْظُرُ حَوْلَهِ إِلَى النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ كُلُّهَا سَتْرٌ هُرُ ، وَسَتَرَيْنَ أَزْهَارًا وَوُرُودًا فِي كُلِّ مَكَانٍ . لَنْ تَمُرَّ أَسَابِيعٌ إِلَّا وَتَرَيْنَ الْأَشْجَارَ قَدْ أُورَقَتْ . »

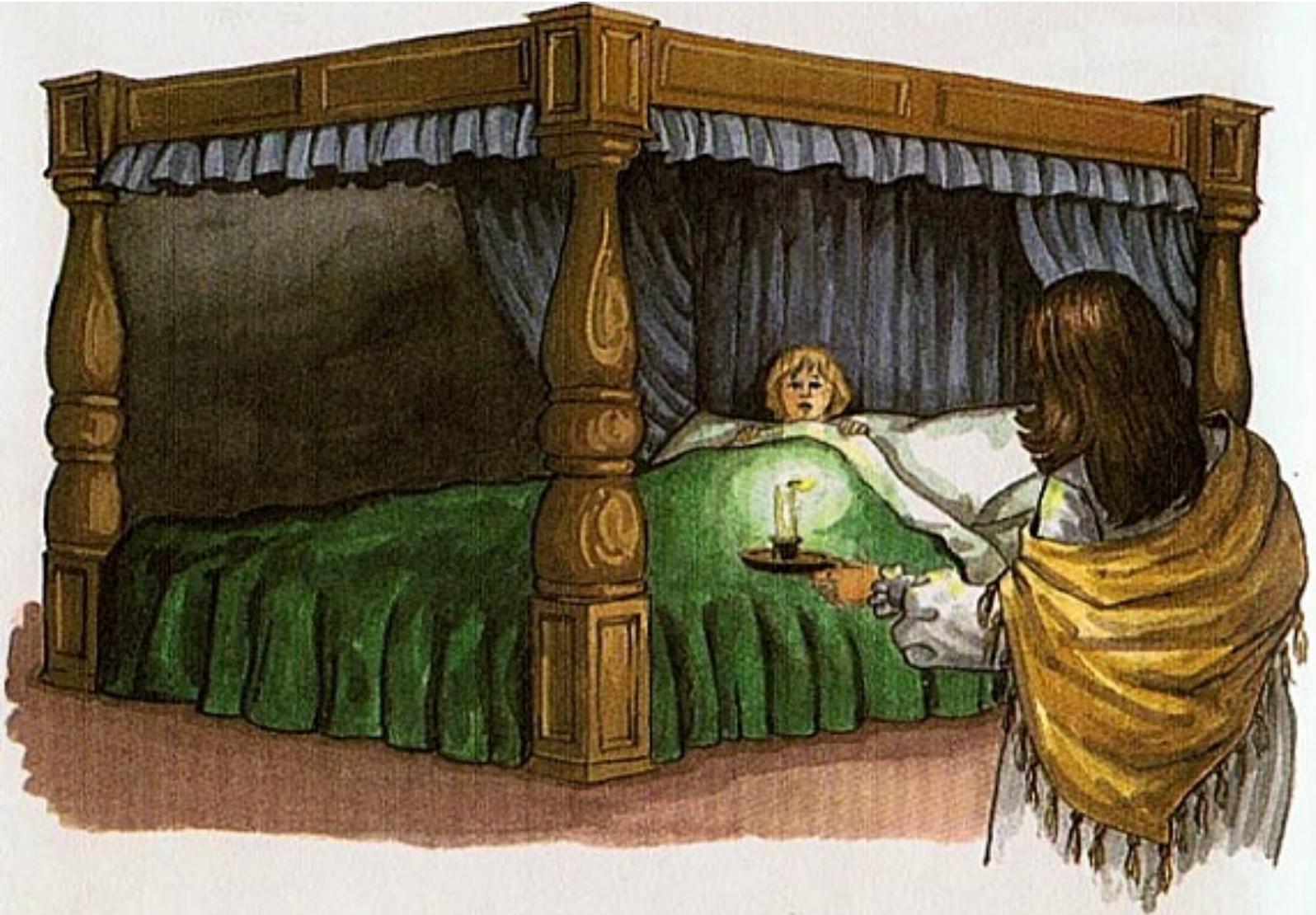
أَخَذَ الْإِثْنَانِ مَعًا يُزِيلَانِ الْأَعْشَابَ الضَّارَّةَ ، وَيُقْلِمَانِ الْأَشْجَارَ . وَاحْسَنَ ماري أَنَّهَا لَمْ تُقَابِلْ أَحَدًا فِي وَدَاعَةِ دِيكُنْ وَبِرَاعَتِهِ . قَالَتْ لَهُ ، مُحاوِلَةً أَنْ تُقْلِدَ صَوْتَهُ الدَّافِيَ الْحَنُونَ : « أَتُحِبُّنِي يَا دِيكُنْ؟ »

ضَحِّكَ دِيكُنْ ، وَقَالَ : « طَبَّعًا أَحِبُّكِ ! وَ« أَبُو الْحِنْ » يُحِبُّكِ أَيْضًا . »

جاءَتِ السَّيْدَةُ مِدْلُكْ بَعْدَ العَشَاءِ إِلَى ماري ، وَقَالَتْ لَهَا : « تَعَالَى مَعِي ! السَّيْدُ كِرَافَنْ مُسَافِرٌ غَدًا ، وَيُرِيدُ أَنْ يَرَاكِ قَبْلَ سَفَرِهِ . »

إِرْتَبَكَتْ ماري ارْتِبَاكًا شَدِيدًا ، وَأَنْتَابَهَا شَيْئٌ مِنَ الْخَوْفِ ، وَاحْسَنَ بِجَسَدِهَا يَتَصَلَّبُ . غَيْرَ أَنَّ السَّيْدَ كِرَافَنْ لَمْ يَكُنْ مُخِيفًا إِطْلَاقًا ، وَلَا كَانَتْ حَدَبَةُ ظَهْرِهِ مُلْفِتَةً لِلنَّظَرِ . أَمَّا وَجْهُهُ فَكَانَ لَطِيفًا وَإِنْ بَدَا نَاطِقًا بالقلقِ والتعاسَةِ . سَالَلَهَا إِنْ كَانَتْ تَرْغَبُ فِي شَيْءٍ ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ ماري أَنْ يَكُونَ لَهَا جَانِبٌ مِنْ حَدِيقَةِ تَزَرَّعٍ فِيهِ أَزْهَارًا .

أَجَابَهَا عَمَّهَا : « لَكِ مَا تَشَاءِينِ . إِخْتَارِي أَيَّ قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرَ مُسْتَغْلَلَةِ بَعْدِهِ . » ماري تَعْرِفُ أَيَّ قِطْعَةٍ تُرِيدُ . فَإِنَّهَا صَارَتْ تَعْتَبُ الْحَدِيقَةَ السَّرِيَّةَ حَدِيقَتَهَا !



أَجَابَتْ ماري : « لا ، أَنَا ماري لِنُكْس . وَأَنْتَ ، مَنْ تَكُونُ؟ »  
 قالَ الولَدُ : « أَنَا كولِن ، ابْنُ السَّيِّدِ كرافن . »  
 فَأَسْرَعَتْ ماري تَقُولُ : « أَنْتَ ، إِذَا ، ابْنُ عَمِي . أَلَمْ يَقُلْ لَكَ أَحَدٌ  
 إِنِّي آتَيْتُهُ لِأَعِيشَ مَعَكُمْ؟ »

أَجَابَ كولِن : « لا ، لَا أَحَدَ يَجْرُؤُ عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْشَى أَنْ يَعْلَمَ أَبِي  
 أَنِّي رَأَيْتُنِي . أَبِي لَا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرَانِي . فَهُوَ يَخَافُ أَنْ أُضْبَحَ ، حِينَ  
 أَكُبرُ ، أَحَدَبَ مِثْلُهُ . إِنَّهُ يَكْرَهُنِي لِأَنَّ أُمِّي ماتَتْ بُعِيدَةً وِلَادَتِي . أَمَّا أَنَا فَلَا  
 يُفَارِقُنِي الْمَرَضُ لِذَا أُلَازِمُ الْفِراشَ . »

إِسْتَيْقَظَتْ ماري لَيْلًا عَلَى صَوْتِ الْمَطَرِ الْمُنْهَمِرِ وَالرِّيحِ الْعَاصِفَةِ .  
وَخَشِيتْ أَنْ يُجْبِرَهَا الجَوُّ الْعَاصِفُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْمَنْزِلِ . وَبَيْنَا كَانَتْ تَتَقَلَّبُ  
فِي فِرَاشِهَا سَمِعَتْ صَوْتَ الْوَلَدِ الْبَاكِي مَرَّةً أُخْرَى . فَهَمَسَتْ قَائِلَةً : « لَا  
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا صَوْتَ الرِّيحِ ! لَا يَهُمُّنِي مَا تَدَعِيهِ السَّيْدَةُ مِدْلُكُ .  
سَادَهَ بُ وَاسْتَكْشِفُ الْأَمْرَ » .

حَمَلَتْ فِي يَدِهَا شَمْعَةً وَمَشَتْ بِهُدُوءٍ عَبَرَ الْمَمَرَّاتِ . رَأَتْ نُورًا يَتَسَرَّبُ  
مِنْ تَحْتِ بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْمَنْزِلِ . فَتَحَتَّ الْبَابَ بِرِفْقٍ فَإِذَا بِهَا أَمَامَ سَرِيرٍ  
ذِي أَعْمِدَةٍ أَرْبِعَةٍ يَنَامُ فِيهِ فَتَّى يَبْكِي بُكَاءً حَادًّا .»  
تَوَقَّفَ الْفَتَّى فَجَاءَ عَنِ الْبُكَاءِ وَالْتَّفَتَ إِلَى ماري ، وَقَالَ لَهَا بِخَوْفٍ  
شَدِيدٍ : « أَلَيْتِ شَبَحٌ؟ »



تَحَدَّثَتْ ماري إِلَى كولِن طَوِيلًا ، وفَهِمَتْ أَنَّهُ تَعِيسٌ جِدًّا وَأَنَّهُ يَظْلِمُ  
أَنَّهُ لَنْ يُشْفِي أَبَدًا.

قَالَ لَهَا كولِن : «الخَدَمُ جَمِيعًا يَسْعَونَ إِلَى إِرْضَانِي . فَالغَضَبُ يَزِيدُ فِي  
مَرَضِي . عَلَيْهِمْ جَمِيعًا أَنْ يُلْبِوا طَلَبَانِي .» ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ سِنِّهَا ، فَأَجَابَتْ :  
«أَنَا فِي الْعَاشرَةِ مِنْ عُمْرِي . أَيْ إِنِّي فِي سِنْكَ .»

قَالَ لَهَا مُسْتَغْرِبًا : «وَكَيْفَ عَرَفْتِ أَنِّي فِي الْعَاشرَةِ مِنْ عُمْرِي ؟»  
أَجَابَتْ ماري : «لِأَنَّ الْحَدِيقَةَ أَقْفَلَتْ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ بَعْدَ وِلَادَتِكَ  
بِقَلِيلٍ .»

فَسَأَلَ كولِن : «أَيْ حَدِيقَةٌ ؟»  
أَجَابَتْ ماري : «حَدِيقَةٌ يَكْرَهُهَا السَّيِّدُ كِرافِن ، أَقْفَلَ بَابَهَا وَدَفَنَ  
الْمِفْتَاحَ .»

فَسَأَلَ كولِن بِإِصْرَارٍ : «أَيْ نَوْعٌ مِنَ الْحَدَائِقِ هِيَ ؟»

كَانَتْ ماري حَرِيصَةً عَلَى أَلَا يَعْرِفَ كولِن أَنَّهَا قَدْ دَخَلَتِ الْحَدِيقَةَ  
فِعْلًا ، فَقَالَتْ بِسُرْعَةٍ : «لَا أَعْرِفُ . فَإِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ لِأَحَدٍ ، مُنْذُ عَشْرِ  
سَنَوَاتٍ ، بِالدُّخُولِ إِلَيْهَا .» ثُمَّ تَحَادَّتَا فِي مُخْتَلِفِ الْأُمُورِ الْمُثِيرَةِ الَّتِي يُمْكِنُ  
أَنْ تَكُونَ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ .





سَالَتْهُ ماري : «أَلَا تَرْكُ فِراشَكَ أَبَدًا؟»

أَجَابَ كولِن : «نَادِرًا مَا أَتَرْكُ فِراشِي . إِذَا خَرَجْتُ مِنَ الْمَتَزِلِ يُحَدِّقُ النَّاسُ فِيَّ ، فَيُؤْلِمُنِي ذَلِكَ كَثِيرًا .»

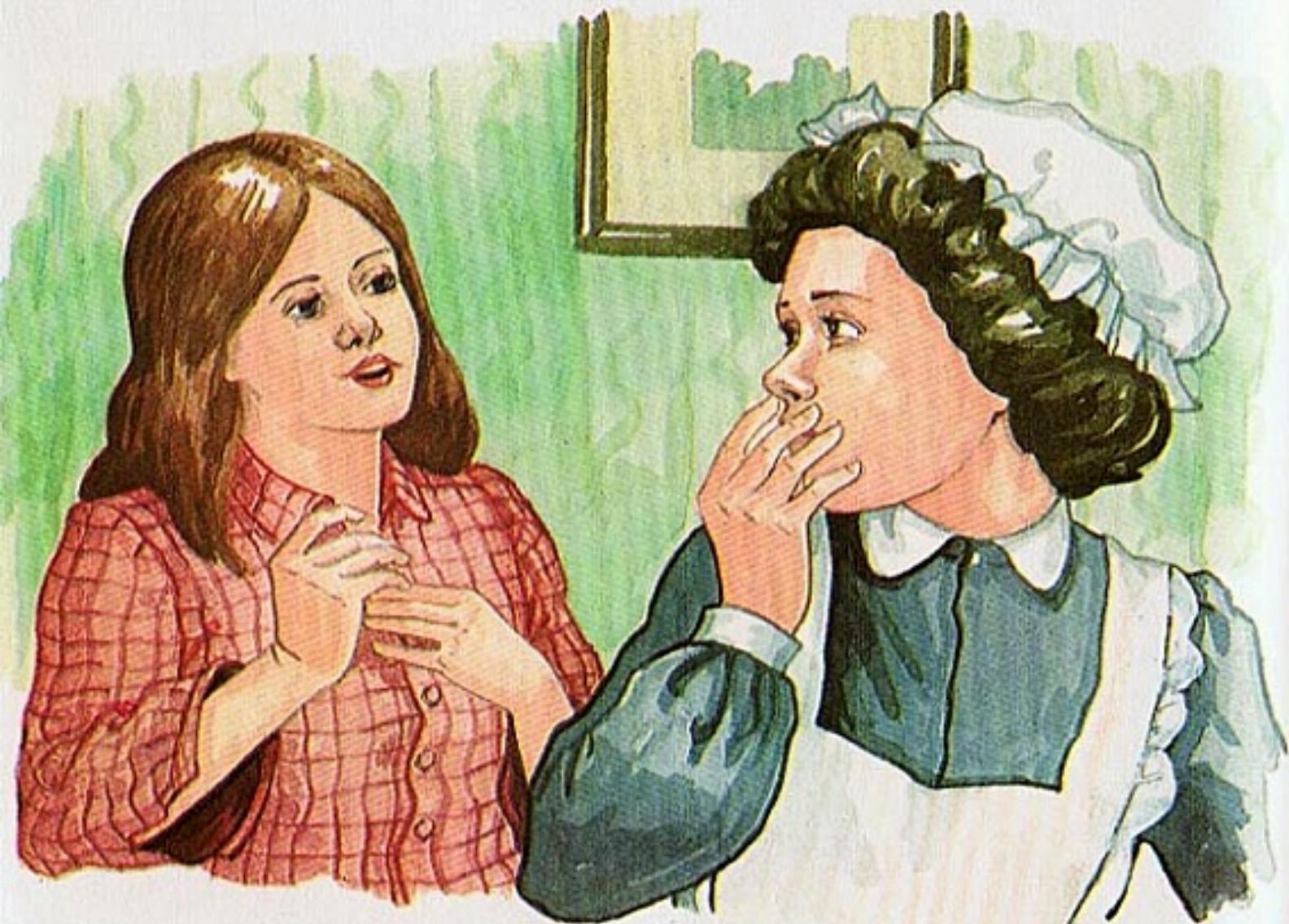
قَالَتْ لَهُ ماري : «مَا دُمْتَ لَا تَرْغَبُ أَنْ يَرَاكَ النَّاسُ ، فَهَلْ تُرِيدُنِي أَنْ أَخْرُجَ مِنْ غُرْفَتِكَ؟»

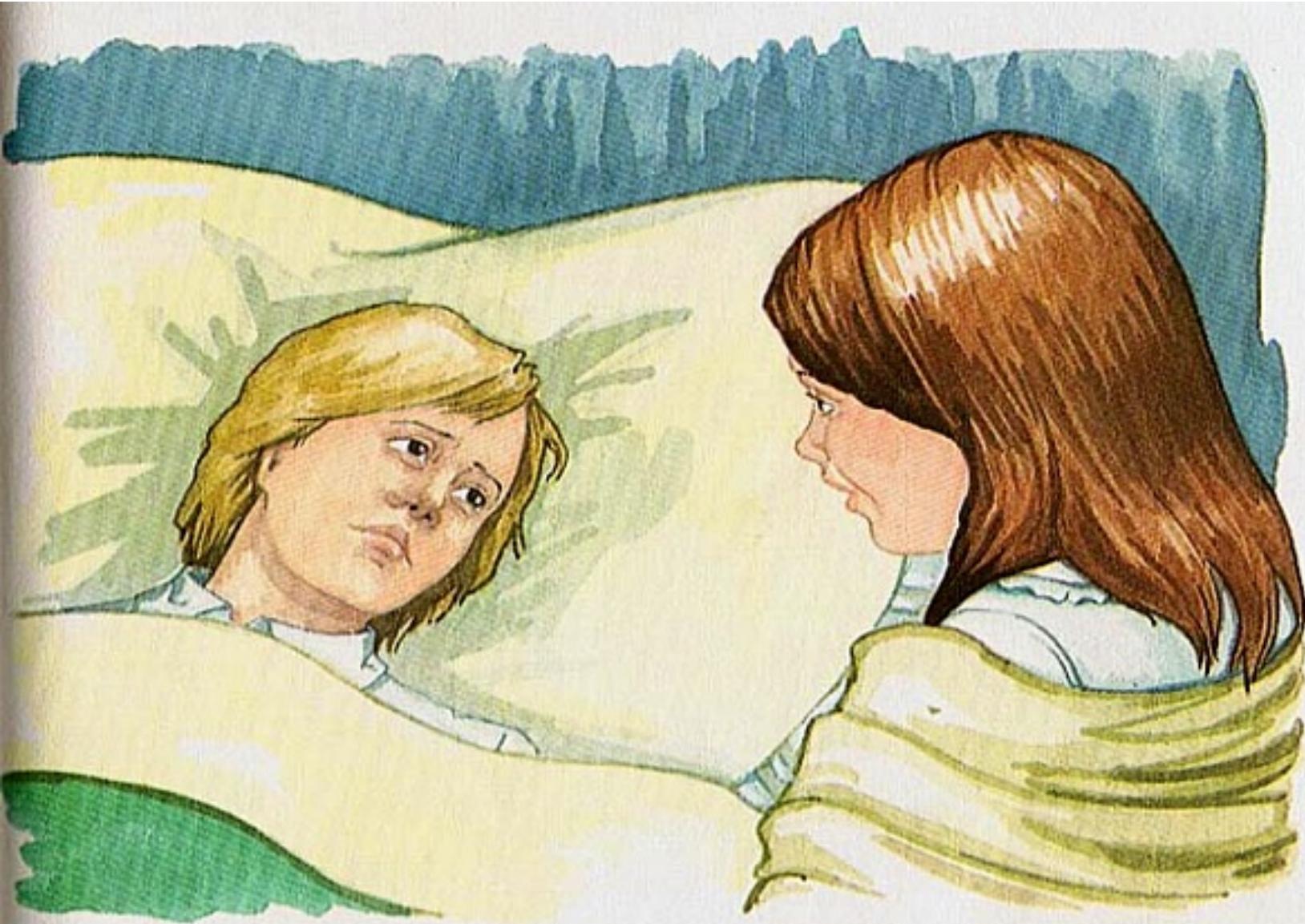
أَجَابَ كولِن بِسُرْعَةٍ : «لا ، أَرْجُوكَ ! إِبْقِي مَعِي وَحْدَثِينِي .»

في اليوم التالي ، أخبرت ماري خادمتها مرتا عن أصوات الولد الباكى وعن اكتشافها سر هذه الأصوات فاضطررت مرتا اضطرابا شديدا ، وخافت أن تفقد وظيفتها لأنها لم تستطع أن تمنع ماري من الوصول إلى سيد المتنزل الصغير .

قالت لها ماري : « لا تخافي ! كولن كان سعيدا بزيارتى ، ويريد أن يراني كل يوم . »

فصاحت مرتا مذعورة : « لا شك أنك سحرته ! »





قالَ كولِنْ : «سَأَجْعَلُهُمْ يَفْتَحُونَ الْبَابَ .»

فَصَرَخَتْ ماري : «أَرْجُوكَ أَلَا تَفْعَلَ ! لِنَحْفَظُ بِالْأَمْرِ سِرًا . إِذَا فَتَحُوا الْبَابَ فَلَنْ يَقْنُى لَنَا سِرًّا . قَدْ نَجِدُ الْبَابَ يَوْمًا فَنَدْخُلُ الْحَدِيقَةَ وَيَكُونُ ذَلِكَ سِرَنَا لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا .»

قالَ كولِنْ : «فِكْرَةٌ عَظِيمَةٌ ! فَإِنَا لَمْ أَعْرِفْ مُتْعَةَ الْأَسْرَارِ مِنْ قَبْلُ .»  
وَكَانَ قَدْ أَنْهَكَهُ الْكَلَامُ ، فَنَامَ . وَتَسْلَلَتْ ماري إِلَى غُرْفَتِهَا .

أَحْسَتْ ماري بِغَضَبٍ. لَقَدْ تَحَدَّثَ كُولِنْ عَنِ الْمَوْتِ وَكَانَهُ يَتَرَقَّبُ حُدُوْثَهُ. فَصَاحَتْ: «وَمَنْ قَالَ لَكَ إِنْكَ سَتَمُوتُ؟»

أَجَابَ كُولِنْ: «الْجَمِيعُ يَقُولُونَ ذَلِكَ. وَأَظُنُّ أَنَّ الْخَلاصَ مِنِّي يُرِيحُ أَبِي..»



إِسْتَفْسَرَتْ ماري عن مَرَضِ كولين ، فَأَخْبَرَتْهَا مَرْتَا أَنَّهُ مُنْذُ وُلْدَ لَمْ يُسْمَحْ لَهُ بِالسَّيْرِ عَلَى قَدْمَيْهِ . فَقَدِ اعْتَقَدَ أَبُوهُ أَنَّ ظَهَرَهُ ضَعِيفٌ لَا يَتَحَمَّلُ السَّيْرَ . وَاسْتَدْعَى أَحَدُ الْأَطْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ لِعِلاجِهِ ، فَرَأَى الطَّبِيبُ أَنَّ عِلَّةَ الفتى في خَوْفِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ سَيَتَعَافِي إِذَا تُرِكَ يَعِيشُ حَيَاةً طَبِيعِيَّةً ، كَمَا يَعِيشُ سَائِرُ الْأَوْلَادِ .

قَالَتْ ماري : «يَظُنُّ كولين أَنَّهُ لَنْ يُشْفَى مِنْ مَرَضِهِ ؟ مَا رَأَيْكَ أَنْتِ ؟» أَجَابَتْ مَرْتَا : «أُمِّي تَقُولُ : لَا يَعِيشُ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَا يَخْرُجُونَ إِلَى الْهَوَاءِ الْطَّلْقِ .»

قَالَتْ ماري : «الْهَوَاءُ الْطَّلْقُ أَفَادَنِي . أَتَظَنُّ أَنَّهُ يُفِيدُ كولين ؟» أَجَابَتْ مَرْتَا : «لَا أَعْرِفُ . فَإِنَّهُ حُمِّلَ مَرَّةً إِلَى حَدِيقَةً مَنْ حَدَائِقِ الْمَنْزِلِ فَأُصِيبَ بِنَوْيَةِ هِيَاجٍ قَوِيَّةٍ . وَكَانَ سَبَبُ هِيَاجِهِ ظَنُّهُ أَنَّ الْبُسْتَانِيَّينَ يُرَاقبُونَ حَرْكَاتِهِ . بَكَى وَصَرَخَ كثِيرًا فاشتَدَ عَلَيْهِ مَرَضُهُ طَوَالَ لَيْلَتِهِ تِلْكَ .»

قَالَتْ ماري : «إِذَا غَضِبَ مِنِّي مَرَّةً فلنْ أُقَابِلَهُ أَبَدًا .» حَرِصَتْ ماري في زيارتها التالية لِكولين أَنْ تُحَدِّثَهُ عَنْ أَخْبَارِ دِيْكُنْ .

قَالَتْ لَهُ :

«لَيْسَهُ لِذِلِّكَ الْفَتى مَثِيلٌ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ . إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى اجْتِذابِ حَيَوانَاتِ الْبَرِّيَّةِ . حِينَ يَعْزِفُ عَلَى مِزْمَارِهِ تَأْقِي إِلَيْهِ الْحَيَوانَاتُ وَتَجْلِسُ عِنْدَهُ وَادِعَةً مُنْصِتَةً .»

قالَ كولين : «يَبْدُوا أَنَّ الْبَرِّيَّةَ مَكَانٌ بَدِيعٌ . وَلَكِنْ لَنْ أَرَى الْبَرِّيَّةَ أَبَدًا ، فَأَنا مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ .»

قالَ دِيكُنْ : «إِذَا اسْتَطَعْنَا إِخْرَاجَهُ إِلَى الْهَوَاءِ الطَّلْقِ يَنْسَى الْحَدَبَةَ الَّتِي  
يَظْنُ أَنَّهَا سَطَّلْعُ فِي ظَهِيرَهُ . سَنَكُونُ ثَلَاثَتَنَا هُنَا ، أَوْلَادًا عَادِيَنْ صِغَارًا  
يَسْتَكْشِفُونَ الرَّبِيعَ . أَنَا أَدْفَعُ كُرْسِيَّهُ . سَيَكُونُ ذَلِكَ خَيْرًا مِنْ دَوَاءِ الْأَطْيَاءِ .»

عادَتْ ماري إِلَى الْمَتَزِلِ مَسَاءً ، فَأَخْبَرَتْهَا مَرْتَا أَنَّ كُولِينْ نَاقِمٌ عَلَيْهَا  
لِأَنَّهَا لَمْ تَزُرْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

أَسْرَعَتْ إِلَى غُرْفَتِهِ ، فَإِذَا بِهِ يَصِيحُ فِي وِجْهِهَا : «لَنْ أَسْمَحَ لِذَلِكَ  
الْفَتَى بِالْبَقَاءِ هُنَا إِذَا كُنْتِ تَرْكِينِي وَتَذَهَّبِينَ إِلَيْهِ . أَنْتِ لَا تُحِبِّينَ إِلَّا  
نَفْسَكِ ، لَقَدْ تَرَكْتِنِي وَحْدِي طَوَالَ النَّهَارِ !»



قالَتْ ماري : «لا أُصَدِّقُ ذلِكَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الطَّيِّبَ الشَّهِيرَ كَانَ عَلَى حَقٍّ . عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَرَكُوكُمْ تَعِيشُ حَيَاةً طَبِيعِيَّةً ، فَتَمْرَحَ وَتَلْعَبَ ، كَمَا يَمْرَحُ الْأَوْلَادُ وَيَلْعَبُونَ . لَيْتَكَ تَرَى دِيكُنْ ! سَتُحِبُّ عِنْدَهَا الْحَيَاةَ .» وَأَخْبَرَتْهُ عَنْ أُسْرَةِ دِيكُنَ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ ، رَغْمَ الْفَقْرِ الشَّدِيدِ ، عِيشَةً سَعِيدَةً رَاضِيَّةً .

تَوَالَّ هُطُولُ الْأَمْطَارِ أَسْبُوعًا كَامِلًا . فَلَمْ تَخْرُجْ ماري إِلَى الْحَدِيقَةِ . وَكَانَتْ بَدَلَ ذلِكَ تُمْضِي أَيَّامَهَا مَعَ كُولِينْ . كَانَا يَقْرَآنِ وَيَتَحَادِثَانِ . وَبَدَأَ كُولِينْ ، لَأَوْلَى مَرَّةٍ ، يَضْحَكُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَدِيقَةِ وَعَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا . وَكَانَتْ ماري تَرْغَبُ رَغْبَةً شَدِيدَةً فِي إِشْرَاكِهِ فِي سِرِّهَا ، لِكِنَّهَا كَانَتْ تَشْعُرُ أَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ لِمَنْحِهِ ثِقَتَهَا كَامِلَةً .

إِسْتَيْقَظَتْ ماري فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، بَعْدَ تَوْقُفِ الْمَطَرِ ، فَوَجَدَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ قَدْ تَسَرَّبَتْ عَبَرَ السَّنَائِرِ . رَكَضَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ فَوَجَدَتْ دِيكُنْ قَدْ سَبَقَهَا إِلَيْهَا .

صَاحَ دِيكُنْ بِفَرَحٍ : «لَمْ أُسْتَطِعِ البقاء فِي الْفِرَاشِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الجَمِيلِ . أُنْظُرِي إِلَى الْحَدِيقَةِ !» كَانَ الدَّفْءُ وَالْمَطَرُ قَدْ أَطْلَعَا نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ . وَانْتَشَرَتْ أَزْهَارُ الزَّعْفَارَانِ الْبُرْتُقَالِيِّ وَالْأَرْجُوانيِّ . أَخَذَتْ ماري تَنْتَظِرُ حَوْلَهَا مَبْهُورَةً وَقَلْبُهَا يَخْفِقُ خَفْقَانًا شَدِيدًا . وَكَانَ «أَبُو الْحِنْ» مُنْهَمِكًا فِي بِنَاءِ عُشِّهِ .

قَالَ دِيكُنْ مُنْبِهًا : «لا تَقْتَرِبِي مِنْهُ كَثِيرًا . إِنَّهُ مُنْشَغِلٌ جِدًا وَلَا يَسْتَطِيفُ الزِّيَارَةَ أَوِ التَّرَثِيرَةَ .»

مَرَّ أَسْبُوعٌ عَلَى زِيَارَةِ دِيكُنْ . وَقَدْ أَخْبَرَتْهُ ماري بِقِصَّةِ كُولِينْ وَتَرَدُّدِهَا إِلَيْهِ .

فَفَزَتْ مِنْ سَرِيرِهَا ، وَضَرَبَتِ الْأَرْضَ بِقَدَمِهَا ، وَصَاحَتْ : « لَا بُدَّ مِنْ إِسْكَانِهِ . إِنَّهُ يَسْتَحِقُ الضَّرْبَ قِصَاصًا لَهُ عَلَى أَنَانِيَّتِهِ ! إِنَّهُ يُزْعِجُ كُلَّ مَنْ فِي الْمَتَرِّلِ ! » رَكَضَتْ إِلَى غُرْفَةِ كُولِينَ وَصَاحَتْ فِي وَجْهِهِ : « أُسْكُنْتُ ! أَنَا أَكْرَهُكَ ! سَيَقْتُلُكَ الصُّرَاخُ بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْتَكَ تَمُوتُ فَنَرْتَاحَ مِنْكَ ! »

كَانَ مَنْظَرُ كُولِينَ مُرْعِيًّا . فَقَدِ انتَفَخَ وَجْهُهُ وَأَخْذَ جَسَدُهُ يَنْتَفِضُ وَنَفَسُهُ يَضِيقُ وَيَتَقَطَّعُ . لَكِنَّ مَارِيَ كَانَتْ مِنَ الغَضَبِ وَالإِنْفِعَالِ بِحِيثُ لَمْ تَأْبِهْ بِكُلِّ ذَلِكَ ، وَانْفَجَرَتْ صَائِحَةً : « إِذَا صَرَخْتَ سَأَصْرُخُ أَكْثَرَ مِنْكَ ! »

قالَ كُولِينَ فِي صَوْتٍ مُتَقَطَّعٍ بِالِّهِ : « لَنْ أَكُفَّ عَنِ الصُّرَاخِ ، فَقَدْ بَرَزَتْ فِي ظَهْرِي حَدَبَةٌ ». «

فَقَاطَعَتْهُ مَارِيَ بِحِيدَةٍ قَائِلَةً : « إِسْتَدِرْ وَأَرِني ظَهْرَكَ ». نَظَرَتْ بِتَفَحُّصٍ إِلَى الطَّهْرِ الْبَائِسِ النَّحِيلِ ، وَقَالَتْ : « لَا أَرِي حَدَبَةً وَلَا حَتَّى بِحَجْمِ رَأْسِ الدَّبُوسِ . إِيَّاكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ الْحَدَبَةِ مَرَّةً أُخْرَى ! »



قاطَعَتْهُ ماري بِحِدَّةٍ قائلةً : « وَأَنْتَ ؟ أَنْتَ أَكْثَرُ مَنْ عَرَفْتُ حُبًا لِنَفْسِهِ ! »

أَخَذَ كولِن يَتَحَبَّ قائلاً : « أَنَا مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ ! »

فَصَرَخَتْ ماري بِغَضَبٍ : « لَا أُصَدِّقُكَ ! إِنَّكَ لَا تَسْعَى إِلَى اسْتِدْرَارِ الشَّفَقَةِ ، لَكِنْ لَنْ يُشْفِقَ عَلَيْكَ أَحَدٌ ! أَنْتَ وَلَدُ مُعَقَّدٌ مُقْرِفٌ ! » وَمَشَتْ إِلَى الْبَابِ مُسْرِعَةً ، ثُمَّ أَدَارَتْ وَجْهَهَا إِلَيْهِ وَصَرَخَتْ : « كُنْتُ أَنُوي أَنْ أُخْبِرَكَ عَنْ دِيْكُنْ وَثَلَّيْهِ وَغُرَابِهِ ، لَكِنِّي غَيْرَتُ رَأْيِي . » وَمَشَتْ بِقُوَّةٍ وَصَفَقَتْ الْبَابَ وَرَاءَهَا .

أَخَذَتْ ، وَهِيَ فِي غُرْفَتِهَا ، تُفْكِرُ فِي الْأَيَّامِ الْمُوحِشَةِ الَّتِي يَعِيشُهَا كولِن . فَهَدَأَ غَضَبُهَا وَاحْسَسَتْ بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « إِذَا أَرَادَنِي أَنْ أَزُورَهُ غَدًا فَسَوْفَ أَفْعَلُ . »

إِسْتَفَاقَتْ ماري لِيَلًا عَلَى ضَجَّةٍ فِي الْمَمَرَاتِ ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا أَصْواتُ بُكَاءٍ وَصُرَاخٍ . فَأَدْرَكَتْ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ كولِن أُصِيبَ بِنَوْبَةٍ مِنْ نَوْباتِ هِيَاجِهِ . فَسَدَّتْ أَذْنِيهَا بِيَدِيهَا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَخْجُبْ عَنْهُمَا الصُّرَاخَ .



صَمَّتْ ماري لحظةً ثُمَّ استجمعتْ شجاعتها وأخْبَرَتْهُ الحَقِيقَةَ. قَالَتْ : «سَبَقَ لِي أَنْ دَخَلْتُ الْحَدِيقَةَ. وَلِهَذَا كُنْتُ قَادِرَةً عَلَى أَنْ أُخْبِرَكَ الْكَثِيرَ عَنْهَا. لَمْ أَجْرُو عَلَى كَشْفِ سِرِّي لَكَ قَبْلَ أَنْ أَتَأْكُدَ أَنَّكَ لَنْ تَبُوحْ بِهِ لِأَحَدٍ». أَعْلَمْ كُوَلِّنْ مُرَبِّيَّهُ . ساعَةَ الْفُطُورِ ، أَنَّ أَحَدَ الْأَوْلَادِ آتَ لِزِيَارَتِهِ وَمَعَهُ عَدَدًا مِنْ حَيَوانَاتِهِ ، وَأَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَقْوَدَ الْوَلَدَ وَحَيَوانَاتِهِ إِلَيْهِ فَورًا وَصُولِيهِمْ .

سُرْعَانَ مَا سَمِعَتْ ماري ثُغَاءَ حَمَلٍ ، فَصَاحَتْ مُبْتَهِجَةً : «إِنَّهُ حَمَلٌ دِيكُنْ ! هَذَا دِيكُنْ وَحَيَوانَاتُهُ !»



هَدَّا نَحِيبُ كَوْلِنْ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَجَلَسَتْ مَارِي إِلَى جَانِيهِ تُوَاسِيهِ حَتَّى  
نَامَ .

خَرَجَتْ مَارِي ، فِي الصَّبَاحِ ، إِلَى الْحَدِيقَةِ فَوَجَدَتْ دِيكُنْ هُنَاكَ  
يُلَاعِبُ سِنْجَابِيَّهُ الْمَرْحَيْنِ . أَخْبَرَتْهُ بِمَا حَدَثَ لِكَوْلِنْ لَيْلًا . فَقَالَ :  
«مِسْكِينُ ! عَلَيْنَا أَنْ نُخْرِجَهُ إِلَى الْحَدِيقَةِ . »

قَالَتْ مَارِي : «عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَلَوْ اسْتَعْمَلْنَا القُوَّةَ ! »  
ضَحِّكَ دِيكُنْ كَثِيرًا ، وَقَالَ : «أُمِّي تَقُولُ : الضَّحِّكُ يُسْعِدُ الْأَصْحَاءَ  
وَيُسَاعِدُ عَلَى شَفَاءِ الْمَرْضِىِّ . »

عِنْدَمَا قَامَتْ مَارِي بِزِيَارَةِ كَوْلِنْ ذَلِكَ الْمَسَاءِ حَدَثَتْهُ عَمَّا فَعَلَ دِيكُنْ  
وَسِنْجَابَاهُ الْمَرْحَانِ ، فَضَحِّكَ الْوَلَدَانِ طَوِيلًا ، وَقَضَيَا وَقْتًا لَطِيفًا يَتَحَادِثَانِ .  
وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ كَوْلِنْ : «آسَفُ لِأَنِّي قُلْتُ إِنِّي لَنْ أَسْمَحَ لِدِيكُنْ بِالْإِقَامَةِ  
هُنَا . لَمْ أَعْنِ مَا قُلْتُ . إِنَّهُ وَلَدٌ رَائِعٌ ! »

إِبْتَسَمَتْ مَارِي وَقَالَتْ : «يَسْرُنِي أَنَّكَ قُلْتَ ذَلِكَ . فَإِنَّ دِيكُنْ قَادِمٌ  
لِزِيَارَتِكَ وَمَعَهُ حَيَوانَاتُهُ . »

أَبْدَى كَوْلِنْ تَرْحِيبًا حارًّا ، وَطَفَحَ وَجْهُهُ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ مُفَاجِيَّةٍ . وَرَأَتْ  
مَارِي أَنْ تَنْتَهِيَ الْفُرْصَةُ وَتَحْكِيَ لَهُ عَنِ الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ . فَقَالَتْ : «عِنْدِي  
لَكَ أَيْضًا مُفَاجَأَةٌ سَارَةٌ . لَقَدْ وَجَدْتُ مِفْتَاحًا بَابِ الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ ! »  
غَمَرَ الْفَرَحُ وَجْهَ كَوْلِنْ وَصَاحَ مُبْتَهِجًا : «مَا رَأَيْكَ أَنْ نَذْهَبَ  
وَنَسْتَكْشِفَ مَا فِيهَا؟ »



دَخَلَ دِيكُنُ الغُرْفَةَ مُبْتَسِمًا ، يَرْفَعُ حَمْلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ ثَعْلَبُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ يَقْفِرُ بِمَرَاحٍ ، بَيْنَا كَانَ أَحَدُ سِنْجَابَيْهِ يَجْلِسُ عَلَى كَتْفِهِ وَيَجْلِسُ الغُرَابُ عَلَى الْكَتْفِ الْأُخْرَى . أَمَّا السُّنْجَابُ الثَّانِي فَكَانَ يُطِلُّ بِرَأْسِهِ مِنْ جَيْبِ سُتُّرِهِ .

حَدَّقَ كُولِينَ فِي دَهْشَةٍ وَذُهُولٍ . اِقتَرَبَ دِيكُنُ بِرِفْقٍ وَوَضَعَ الْحَمْلَ فِي حِضْنِ كُولِينَ وَأَعْطَاهُ قِنْيَنَةً يُطْعِمُ مِنْهَا الْحَمْلَ . وَانْهَمَكَ ثَلَاثَتُهُمْ فِي حَدِيثٍ مُمْتَعٍ بَرِيٍّ . كَانَ عِنْدَ دِيكُنِ مِنَ الْحِكَایاتِ مَا لَا عَدَّ لَهُ .

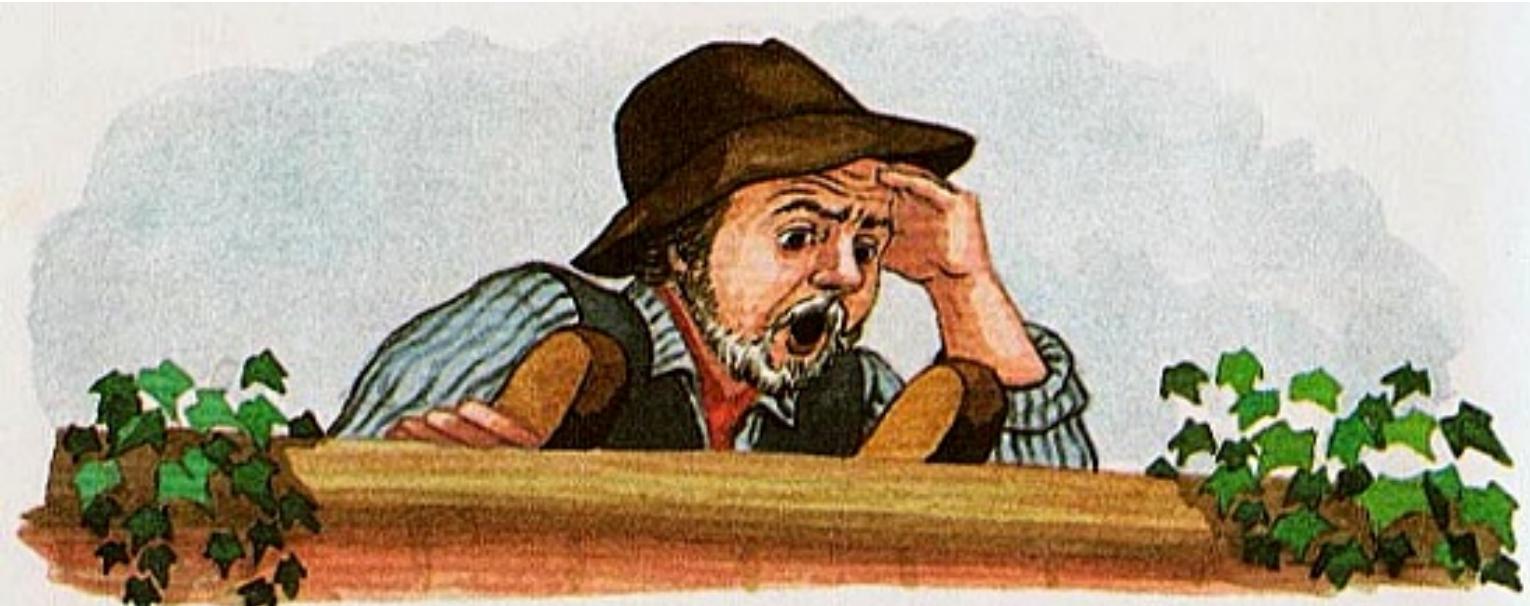
قَالَ كُولِينَ : «سَأَسْتَكْشِفُ الْحَدِيقَةَ السَّرِيَّةَ كُلَّهَا شِبْرًا شِبْرًا .»

فَأَسْرَعَتْ مَارِي تَقُولُ : «لَا تُضِعْ وَقْتًا ، هَيَا بِنَا !»  
وَضَعَ كُولِينَ فِي كُرْسِيٍّ ، وَقَامَ دِيكُنُ بِدَفْعِ الْكُرْسِيِّ . وَأَخْدَتْ مَارِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَمْرُونَ بِهَا . قَالَتْ : «هُنَا قَابَلْتُ الْبُسْتَانِيَّ بْنَ ، وَهُنَا رَأَيْتُ أَبُو الْحِنْ .» ثُمَّ قَالَتْ ، وَقَدْ لَمَعَتْ عَيْنَاها ، هَامِسَةً : «وَهُنَا الْحَدِيقَةُ !»

فَتَحَّتْ مَارِي بَابَ الْحَدِيقَةِ ، وَأَسْرَعَ دِيكُنُ يَدْفَعُ كُرْسِيَّ كُولِينَ أَمَامَهُ . رَاحَ الْفَتَى الْعَلِيلُ يُجِيلُ النَّظَرَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ مَارِي قَدْ وَصَفَتْهَا لَهُ ، وَيَتَامَّلُهَا طَوِيلًا ، ثُمَّ صَاحَ مُبْتَهِجًا : «سَأَتَعَافِي ! سَأَعِيشُ إِلَى الْأَبْدِ !» فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، بَدَا كُولِينَ حَيَاةً جَدِيدَةً .

قَالَ دِيكُنُ : «مَا أَرَوَعَ هَذَا الْيَوْمَ !»

وَقَالَتْ مَارِي : «نَعَمْ ، مَا أَرَوَعَهُ !»



أَنْتَفَضَ يُخْلِصُ نَفْسَهُ مِنَ الْكُرْسِيِّ ، يُساعِدُهُ فِي ذَلِكَ دِيْكُنْ ، وَوَقَفَ فِي الْحَدِيقَةِ مُنْتَصِبًا يَقَامِيهِ الْمَدِيْدَةِ . وَصَاحَ : «أُنْظُرِ الْآنَ ! أَتَرَانِي كَسِيْحًا؟» أَحَسَّ بِنْ بِسْعَادَةِ عَارِمَةِ ، وَرَاحَتِ الدُّمُوعُ تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِيهِ ، وَقَالَ بِتَأْثِيرٍ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ ! حَمَّاكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ !»

ظَلَّ كَوْلِنْ وَاقِفًا . وَأَحَسَّ ، فَجَاهَ ، أَنَّ الْخَوْفَ قَدْ زَايَلَهُ إِلَى الْأَبْدِ ، فَصَاحَ : «لَمْ أَعُدْ خَائِفًا ! لَقَدْ مَسَّنِي سِحْرُ الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ ! إِنَّ سِحْرَهَا الَّذِي مَسَّ النَّبَاتَاتِ قَدْ مَسَّنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ !»

بَدَا كَوْلِنْ ، فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، صَامِتًا . لِكِنَّهُ أَخِيرًا قَالَ لِمَارِي : «لَنْ أَكُونَ فَتَّى مِسْكِينًا بَعْدَ الْيَوْمِ . إِذَا آمَنْتُ بِأَنِّي سَأَكُونُ مُعَافِي قَوِيًّا تَعَافَيْتُ وَقَوِيْتُ .»

دَعَا كَوْلِنْ ، فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، كُلًا مِنْ مَارِي وَدِيْكُنْ ، وَقَالَ لَهُمَا : «سَأُرِيكُمَا أَنَّ السِّحْرَ قَدْ فَعَلَ فِعْلَهُ .»

قالَ كولِنْ : «أَتَمَّى أَلَا يَنْتَهِيَ هَذَا الْيَوْمُ ! أَشْعُرُ أَنَّ هَذَا الْجَمَالَ قَدْ خُلِقَ لِي وَحْدِي . سَأَرْدَدُ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ كُلَّ يَوْمٍ وَأَسْتَمْتَعُ بِهِ طَوَالَ حَيَاةِي .»

قالَ دِيكُنْ : «وَنَحْنُ سَنَأْتَيْ مَعَكَ . وَعَمَّا قَرِيبٍ سَنَجْعَلُكَ تُشارِكُنَا فِي حَفْرِ الْأَرْضِ وَالتَّنَزُّهِ فِي الْبَرَّيَّةِ سَيِّرًا عَلَى الْأَقْدَامِ .»

فَجَاهَ ، أَطْلَلَ الْبُسْتَانِيَّ بَنْ مِنْ فَوْقِ السَّوْرِ وَخَاطَبَ ماري غَاضِبًا : «ما الَّذِي تَفْعَلِينَهُ هُنَا؟» ثُمَّ رَأَى كولِنْ فَفَغَرَ فَمَهُ فِي ذُهُولٍ .

سَأَلَهُ كولِنْ : «أَتَعْرِفُ مَنْ أَنَا؟»

أَجَابَ بَنْ : «نَعَمْ أَعْرِفُ . أَنْتَ الْوَلَدُ الْكَسِيْحُ الْمِسْكِينُ .»

رَفَعَ كولِنْ رَأْسَهُ وَصَاحَ بِغَضَبٍ : «أَنَا لَسْتُ كَسِيْحًا ! سَأُرِيكَ أَنَّى لَسْتُ كَسِيْحًا !»





رأى في نومه، ذات ليلة، حديقة زوجته. وكان حلمه شديد الوضوح، فقرر أن يعود إلى منزله فوراً. وما إن وصل المنزل حتى توجه إلى الحديقة.

مشى إلى الحديقة بخطوات ثقيلة. فقد عادت إليه ذكرياته الحزينة كلها. وبينما كان واقفاً أمام باب الحديقة السرية، يفكر في طريقة يجده فيها المفتاح، سمع أصوات ضحكات تأتيه من الداخل.

أخذ كولن يخطو ببطء خطوات قليلة ثم يتوقف، ثم يعاود الخطوة، حتى دار حول الحديقة كلها. طفح وجهه بشراً، وقال:

«لا شك أن هذا سرّ من أعظم الأسرار. حين أتمكن من المشي كما يمشي الأولاد والجري كما يجرون سادخل مكتب أبي، وأقول له: ها أنا، يا أبي، معاذ وقوى! غير أن إخفاء هذا السر لم يكن أمراً هيناً. فقد كان سحر الحديقة السرية يحول كولن إلى فتى ذي عينين براقتين وجنتين موردتين. وكان كولن وماري يمارسان كل يوم تارين والعابا، فامتنلا جسدهما وتحسن صحتهما. وزايل ماري ما كان في شخصيتها من نكدي وتعاسة وما كان في نظرتها من تكبر وجفاء، فعدت فتاة رقيقة ساحرة. وزايل كولن كل مظاهر المرض. وأصاب هذا التغير أهل المنزل كلهم بالذهول.

كان كولن، في أحد الأيام، يحفير الأرض، فتوقف فجأة، وقد أحس أنه إنسان جديد، وصاح مخاطباً رفيقيه: «أنظرا إلي! أنا بخير! أنا بخير حقاً! أريد أن أهتف فرحاً! سأعيش، سأعيش إلى الأبد!»

بينما كان سحر الحديقة السرية يفعل فعله، كان السيد كرافن يقوم بتجواله في أماكن نائية. فإنه منذ عشر سنوات يحاول الهرب من أحزانه ويرفض أن يُسري عنه أحد أو حتى أن يحاول ذلك.

كان، في أحد الأيام، يتتجول في بقعة ساحرة من ريف النمسا. رأى ساقية وادعة فجلس عندها. فجأة، أخذ يشعر أن شيئاً من وداعه المكان وهدوئه أخذ يتسرّب إلى عقله وجسده. وأحس، منذ تلك اللحظة، أن السعادة بدأت تعود إليه وأن جسده أخذ يشتد ويقوى.



انفتحَ البابُ بِقُوَّةٍ فَجَاءَ ، وَاندَعَ خارِجاً مِنْهُ فَتَى طَويْلٌ وَسِيمٌ . وَقَفَ السَّيِّدُ يُحَدِّقُ مذهولاً ، لا يُصَدِّقُ مَا يَرَى وَقَدْ عَقَدَتِ الْمُفَاجَاهُ لِسَانَهُ .

الْتَّقَطَ كولِنْ أَنْفَاسَهُ ، وَوَقَفَ أَمَامَ أَبِيهِ سَاكِنًا لِبُرْهَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : «أَبِي ، أَنَا كولِنْ ! شَيْءٌ لا يُصَدِّقُ ، وَلِكِنَّهَا الْحَقْيَةُ .»

ثُمَّ قادَ أَبَاهُ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، وَأَخْبَرَهُ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّبِيعَةُ فِيْلَهَا فَجَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَدِيقَةِ يَنْمُو وَيَزْدَهِرُ وَأَعْادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ .

لَمْ يَكُنِ السَّيِّدُ كرافنْ قَدْ سَمِعَ ، فِي حَيَاتِهِ كُلَّهَا ، قِصَّةً أَرْوَعَ مِنْ تِلْكَ الْقِصَّةِ . جَلَسَ إِلَى جَانِبِ كولِنْ وَماري وَدِيكُنْ وَالْحَيَوانَاتِ يَسْتَمِعُ إِلَى أَخْبَارِهِمْ وَيَضْحَكُ كَمَا لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ سِنِينَ . وَكَانَ شَدِيدَ الْفَخْرِ وَالْإِعْتِزَازِ بِإِيمَانِهِ الْوَسِيمِ الْمُعَافِيِّ !

قَالَ كولِنْ أَخِيرًا : «لا حَاجَةَ لِأَنْ يَظَلَّ أَمْرُ الْحَدِيقَةِ سِرِّاً بَعْدَ الْيَوْمِ . ولَنْ أَحْتَاجَ لِلْكُرْسِيِّ أَبَدًا . سَأَمْشِي مَعَكَ وَأَرْفِقُكَ ، يا أَبِي !»

وَقَفُوا كُلُّهُمْ ، وَمَشَى السَّيِّدُ كرافنْ إِلَى مَنْزِلِهِ عَبْرَ الْمَرْجِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ مَشَى ابْنُهُ الْقَوِيُّ الْمُنْتَصِبُ الْقَامَةِ .

أَنَا تَجَبَّبْتُ الْخَوْضَ فِي تَفَاصِيلِ الْأَسْنَاءِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ مُبَاشِرَةً بِصُلْبِ  
الْمَوْضُوعِ وَلَا تُؤْثِرُ عَلَى سِيرِ الْأَحْدَاثِ ، وَذَلِكَ لِكَيْ لَا تُرْبِكَ  
الْقَارِئُ الْعَرَبِيُّ بِاسْمَهُ ثَانِيَّةِ الْأَهْمَيْهِ ، غَرِيبَةِ الْلَّفْظِ قَلِيلَةِ التَّوَاتِرِ .

وَتَمَتَّازُ هَذِهِ الْقِصَصُ كُلُّهَا بِأَنَّهَا شَدِيدَةُ التَّشْوِيقِ ، وَتَقُومُ فِي  
غَالِبِهَا عَلَى الْمُغَامِرَاتِ الْمُثِيرَةِ . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمُخْتَارَةِ  
كُتُبَتْ أَصْلًا لِتُرْضِي جُمْهُورَ الشَّابِرِ ، وَهِيَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ تُرْضِي  
مَشَايِعَهُمْ وَمَبَادِئَهُمْ وَجَبَّهُمْ لِلِانْطِلاقِ وَالْكِشَافِ الْمَجْهُولِ .

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ جَمِيعَهَا ، وَإِنْ تَكُونُ فِي غَالِبِهَا تَقُومُ عَلَى  
حُبِّ الْمُغَامِرَةِ ، تَتَنَاهُ أَصْدَقَ الْمَشَايِعِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتُصَوَّرُ كِفَاحُ  
الْإِنْسَانِ لِتَحْقِيقِ مُثْلِهِ الْعُلْيَا دُونَ أَنْ يَعْتَبَرَ بالِتَّضْحِيَاتِ .

وَزُوِّدَتْ كُتُبُ السَّلِيلَةِ جَمِيعُهَا بِمُقَدَّمَاتٍ تُعَرَّفُ بِالْمُوْلَفِ كَمَا  
زُوِّدَتْ بِرُسُومٍ مُلْوَنَةٍ رائِعَةٍ تُضْفِي جَوَاءً مِنَ السُّخْرِ عَلَى أَحْدَاثِ  
الْقِصَصِ ، وَتُصَوَّرُ الْخَلْفَيَاتِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيْخِيَّةِ أَصْدَقَ  
تَضْوِيْرَ .

تَسْعى مَكْتَبَةُ لُبَانَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ السُّلْسِلَةِ إِلَى تَعْرِيفِ الْفَتَىِ  
العَرَبِيِّ بِرَوَايَةِ الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ ، وِإِعْدَادِهِ لِلِّدُخُولِ ، فِيمَا بَعْدُ ،  
فِي عَالَمِ الْقِصَصِ الْخَالِدَةِ مِنْ بَابِهِ الْوَاسِعِ . إِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ  
أَبْنائِنَا أَنْ يُكَوِّنُوا فِكْرَةً صَحِيحَةً شَامِلَةً عَنْ إِنْتَاجِ الْقِصَصِ الْذَّائِعَةِ  
الصَّيْرِ فِي مُخْتَلِفِ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ .

عَلَى أَنَّا نَتَقَرَّبُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ تَضُلُّحُ ، بِالشَّكْلِ الَّذِي نُقَدِّمُهَا  
فِيهِ ، لِلْكِيَارِ أَيْضًا . لِأَنَّا حَرِصَنَا عَلَى أَلَا نَتَقْصِسَ مِنْ جَوْهِ الْفِكْرَةِ  
الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ وَمِنْ بَنَاءِ الشَّخْصِيَّاتِ كَمَا أَرَادَهَا  
الْمُؤْلِفُونَ .

وَحَرِصَنَا عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى عَنَاوِينِ الْكُتُبِ الْأَصْلِيَّةِ وَكَذَلِكَ  
عَلَى أَسْمَاءِ الْعَلَمِ وَالْأَماْكِنِ ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ ، رَغْبَةً فِي  
إِعْطَاءِ صُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَنِ الْجَوْعِ الْعَامِ لِلْقِصَصِ ، مِنْ حِيثُ المَكَانُ  
وَالْأَوْضَاعُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ وَالْأَخْدَاثُ التَّارِيْخِيَّةُ ، وَخِدْمَةً لِلْمَهْدِفِ الَّذِي  
نَسْعِي إِلَيْهِ وَهُوَ تَمَهِيدُ الْعَرْيَقِ لِلتَّعَرُّفِ إِلَى الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ . عَلَى



في سلسلة كتب المطالعة الآن أكثر من ٢٥٠ كتاباً تتناول ألواناً  
من الموضوعات تناسب مختلف الأعمار. اطلي بالبيان الخاص بها من:  
**مكتبة لبنان** - ساحة رياض الصلح - بيروت



هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأنثوية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتكاع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...

This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity